



Munich Personal RePEc Archive

REVIEW OF SOMALIA, GREED, COLONIZATION AND SOCIOECONOMIC IMPACTS

Mohamed, Issam A.W.

Al Neelain University, Khartoum, Sudan

2011

Online at <https://mpr.ub.uni-muenchen.de/31646/>
MPRA Paper No. 31646, posted 18 Jun 2011 22:24 UTC

إستعراض للموقف في الصومال ، الجشع ، الاستعمار والآثار الاقتصادية والاجتماعية

REVIEW OF SOMALIA, GREED, COLONIZATION AND SOCIOECONOMIC IMPACTS

Professor Dr. Issam A.W. Mohamed¹

Contents

CONTENTS	1
1. ABSTRACT.....	2
2.....	2
2.....	2
3.....	3
4.....	4
5.....	5
6.....	6
7.....	7
8.....	8
9.....	9
10.....	10
11.....	11
12.....	12
13.....	13
14.....	14
15.....	15
16.....	16
17.....	17
18.....	18
19.....	19
20.....	20
21.....	21

¹ Professor of Economics, Alneelain University, Khartoum-Sudan. P.O. Box 12910-11111.
issamawmohamed@hotmail.com

1. ABSTRACT

In a country that lost all feasible authorities for over twenty years economic future seems gloomy. No feasible economic solutions are seen. The paper review auspices of the Somalian tragedy and retort history of its last dictatorship, Siad Barri, the following civil conflict and the process of the present total war, everyone against everyone. Socioeconomic impacts are discussed along with the education situation and state human capital there.

2. مقدمة

في أبريل عام 1978 وتحديدا بعد خروج الجيش الصومالي من إثيوبيا عقب الحرب التي دارت بين البلدين حاولت مجموعة من ضباط الجيش الصومالي القيام بانقلاب عسكري لكنهم لم ينجحوا في تلك المحاولة وانتهى الانقلاب بالفشل . وبعد محاولات كثيرة يؤس المعارضون من تغيير النظام من الداخل ولجأوا إلى أسلوب آخر وهو معارضة الحكومة من الخارج بتكوين عدة جبهات سياسية وعسكرية بمباركة ومساندة الرئيس الإثيوبي السابق (منغستو هيلامريم) حيث واصلت تلك الجبهات الحرب ضد الحكومة الصومالية وقتها وكان يزداد عدد الجبهات المعارضة حتى بدأت الحرب الأهلية في الصومال بصورة شاملة في عام 1990 . وبعد فترة وجيزة تمكنت تلك الجبهات من الإطاحة بالحكومة وتبدلت الأحداث من سيء إلى أسوأ حيث فشلت تلك الجبهات في تكوين حكومة مركزية تتولى زمام الأمور وأدى ذلك إلى إنزلاق البلاد إلى حرب أهلية شاملة . ونتيجة لذلك إنهارت كافة مؤسسات الدولة في الصومال بأسره فلم يعد هنالك شرطة ولا جيش ولا مدارس ولا جامعات ولا مستشفيات ولا مياه نقية ولا خدمة مدنية أخرى تقريبا . والحرب الأهلية في الصومال كغيرها من الحروب التي حدثت ولا تزال تحدث باستمرار في العالم تسببت خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات ومن بين تلك الممتلكات المؤسسات التعليمية كالمدراس والجامعات التي يعد لها وجود . ونقصد الحروب الأهلية في الصومال وأثرها النفسية والاجتماعية والاقتصادية علي العامة لتوضيح آثار الحرب الأهلية في الصومال . بذلك نسلط الضوء علي القضية الصومالية من جذورها وعوامل انفجارها . هذا لأن الحرب الأهلية في الصومال سببت الكثير من المشكلات النفسية والاجتماعية والاقتصادية وأثرت علي كل شرائح المجتمع . وأهم سبب هو غياب أي دراسة تناولت الحرب الأهلية في الصومال والحرب الأهلية بقصد بها القتال بين الأقارب والعشائر وبين الرفاق والأصدقاء وأبناء البلد الواحد . وهي نزاع مسلح بين النظام الحاكم وبين فئة أو فئات مسلحة من رعاياه ، أو بين فئات مسلحة تنتمي إلى دولة واحدة .

3. الحرب الأهلية في الصومال

تقع الصومال في القرن الإفريقي بين دائرتي عرض 2 جنوبا 31 شمالا وبين خطي طول 22 و 25 شرقا . ومساحتها 637.657 كيلومتر مربع وعدد سكانها يجاوز 12 مليون نسمة . ويحد الصومال من جهة الشرق المحيط الهندي ، ومن الشمال خليج عدن ، ومن الجنوب الغربي جمهورية كينيا ، ومن الغرب إثيوبيا ، ومن الشمال الغربي جمهورية جيبوتي⁽¹⁾ . والخواص الإستراتيجية لموقع الصومال أنها ظلت على مر التاريخ عامل جذب لقوى مختلفة متصارعة إنغمست في منافسات وصراعات ومنازعات في إطار سعي كل منها إلى تحقيق أهداف إستراتيجية وعسكرية لبلادها . وهو يتميز بموقع جيوبوليتيكي فريد ، فهو متاخم لكل من منطقة البحر الأحمر والمحيط الهندي ، كما يقع في نقطة لقاء قارتي إفريقيا من الغرب وآسيا من الشرق ، ويشرف على البحر الأحمر الذي يربط البحر العربي والمحيط الهندي بالبحر الأبيض المتوسط بواسطة مضيق باب المندب ، وهذا الموقع ربط آسيا بإفريقيا عن طريق الموجات البشرية الزاحفة من شبه الجزيرة العربية إلى قارة إفريقيا قبل وبعد انهيار سد مأرب في منتصف القرن الخامس الميلادي كما يعد الصومال مدخلا للإسلام في شرق إفريقيا . وهذه الأهمية لموقع الصومال تظهر بجلاء في تلك التدخلات الأجنبية للنيل من أراضي منذ فجر التاريخ والتي أدت في النهاية إلى تمزيقه بواسطة المستعمرين إلى خمسة أجزاء . كما أن أهمية البحر الأحمر من الناحية العسكرية تكمن في أنه المدخل إلى المحيط الهندي عبر مضيق باب المندب ، والذي يتسم هو والقرن الإفريقي بأهمية حيوية للقوتين العظمتين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي ومن قبلهما بريطانيا وإيطاليا وفرنسا . والصومال بالإضافة إلى دولة جيبوتي والتي تعتبر ربيبة الصومال وجزءا منه شاءت الأقدار أن تكونا دولتين مستقلتين تقومان حاليا على خليج عدن الذي يعتبر المدخل الطبيعي إلى البحر الأحمر ، وأن ممر البحر الأحمر الذي يربط حاليا ما بين أكبر حقول النفط في الخليج العربي وأكبر مستهلك للنفط في غرب أوروبا . وأن الدولتين

(1) صفية شيخ علي ياسين : أبرز الآثار النفسية والتربوية لحرب الأهلية على الاطفال في الصومال في الفترة 1991-2001م - رسالة ماجستير غير منشورة 2002م ص/48 .

تتشارك مع البحر الأحمر في خصائصه الطبيعية وأهميته الجيوبوليتيكية ، لذا يرى المستعمرون أن هذه الأسباب كافية لإستعمارهما (1). وقد عرف محمد طه توكل بأنها : إحلب اللبن بأيديك وذلك عندما جاء الرحالة العرب إلى شواطئ الصومال وطلبوا لبن الإبل فقبل لهم بلغة الأهالي "صومال" ذلك لأنه عندما يطلب أحد الزوار الحليب يؤمر بالذهاب بنفسه إلى الناقة ليحلب منها وحده إستخداما لكلمة "صومال" أي إحلب اللبن بأيديك ونأخذ من هنا كرم الصوماليين إذ يعطى الضيف الحرية الكاملة بحلب اللبن وإشعاره بأنه موجود في بيته الأمر الذي يتيح له أن يتصرف كما يشاء ، كما نفهم أيضا أن أصل هذه الكلمة يرجع إلى لغة الأهالي (2) وهناك رأي آخر حول إشتقاق هذه الكلمة وهو أنها مأخوذة من لفظة "سمال" التي ينتسب إليها بعض قبائل الصومال من باب تسمية الكل بإسم البعض ، وأقدم إستخدام لهذا الإسم عثر عليه الباحثون في ترتيلة إثيوبية حينما كان ملكهم يفتخر لحنكته القتالية وكان يخاطب جمعا من الناس فقال في أثناء كلامه : (ليعلم الصومال) (3) وكان لها تاريخ طويل مضطرب قبل أن تعرف بهذا الإسم . فقد كان المصريون في عهد الفراعنة يسمونها (أرض بنط) وكان يجلبون منها أشجار المر والبخور لتزيين حدائق المعابد الفرعونية في القرن الخامس عشر قبل الميلاد . وقد عرف الفينيقيون هذه المنطقة منذ أقدم العصور وكانوا يسمونها (أرض البخور) . أما الرومان فكانوا يدعونها بالأرض المجهولة . وأبدى العرب والفرس إهتماما كبيرا ببلاد الصومال منذ القرن السابع الميلادي وفي زمن لاحق إستقر فيها الكثيرون من مهاجريهم تجارا ودعاة إلى الدين الإسلامي . واندمجوا في نمط الحياة في مدن منها مقديشو وورشخ ، ومركه، وبراو في الجنوب ، وزيلع ، وبربرا ، ويندر عباس في الشمال .

هناك أدلة وافرة على أن بلاد الصومال ، وعلى الأخص مدنها الساحلية ، كانت على إتصال منذ الأزمنة القديمة ببلدان الشرق كالصين وبلاد فارس والجزيرة العربية . وفي القرنين الخامس عشر والسادس عشر نشأت سلطنات إسلامية قوية في مقديشو وفي الزاوية الشمالية الشرقية من القرن . وكانت هذه السلطنات تلتف حول دولة عادل وعاصمتها زيلع ، وتحمي الصومال من غزوات البرتغاليين ومختلف ملوك الحبشة . ولعب الصوماليون دورا كبيرا في هذه السلطنات واشتركوا في حملات الجهاد التي كانت تقوم بها . وفي مطلع القرن الثامن عشر إحتل الساحل الجنوبي من البلاد سالم الصميمي عاملا لحساب سلطان عمان . وفي سنة 1889م أقدم سلطان زنجبار ، وكان حينذاك وارثا لسلطان عمان ، على بيع حقوقه في حكم ساحل الصومال الجنوبي من الإيطاليين . وفي نهاية سنة 1899م أبلغت الحكومة الإيطالية الدول الأوروبية أنها تولت سلطة الحماية على أقسام من المنطقة الساحلية . وفي أثناء ذلك كان الإيطاليون يفاوضون زعماء الصومال في موضوع المناطق الساحلية الواقعة إلى الشمال من مقديشو وبعد ذلك في موضوع الأراضي الداخلية الممتدة من مقديشو إلى رأس جاردفوي عند طرف القرن .

حكم الإيطاليون هذا الجزء من الصومال من ذلك التاريخ إلى أن طردتهم منه القوات البريطانية والإفريقية الجنوبية خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945م) . وعلى أثر الإحتلال سنة 1941م أعلن قيام إدارة عسكرية بريطانية على ما كان يدعى بالصومال الإيطالي ، ولكن لم تمض بضعة سنوات حتى برزت ضغوط سياسية قوية من جانب السكان الصوماليين طلبا للحرية والحكم الذاتي . وفي سنة 1948م أوفدت الأمم المتحدة إلى الصومال لجنة رباعية تمثل الولايات المتحدة الأمريكية، والإتحاد السوفييتي، وبريطانيا، وفرنسا للتحقق من رغبات السكان . وكان البريطانيون الذين أنشأوا إدارتهم العسكرية بعد طردهم الإيطاليين من البلاد يتوقعون أن يطالب الصوماليون بإيلائهم إدارة البلاد بصورة دائمة غير أن السياسيين إعتبروا أن ذلك ليس في مصلحة وطنهم فأبلغوا اللجنة الدولية أن رغبتهم هي التحرر من جميع أشكال الحكم الإستعماري . وفي 21 أكتوبر 1949م إتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة بأغلبية ساحقة قرارا وافقت به على وضع الصومال تحت وصاية الأمم المتحدة منذ 10 سنوات وعينت إيطاليا كسلطة إدارية تحت إشراف مجلس إستشاري تابع للأمم المتحدة مؤلف من الفلبين، ومصر، وكولومبيا لقيادة الصومال نحو الإستقلال كقوة إفريقية ذات سيادة خلال فترة محددة بعشر سنوات . وفي أول إبريل 1950م تولت إيطاليا مهمتها الإدارية في سبيل إعداد الصوماليين للإستقلال وفي أول يوليو/تموز 1960م نال الصومال ، الذي كان إلى ذلك الحين تحت وصاية الأمم المتحدة ، إستقلاله . أما الإقليم الشمالي من الصومال فكان قد أعلن محمية بريطانية بعد توقيع معاهدات مع زعماء وشيوخ القبائل الصوماليين سنة 1827م أولا ، ثم على التوالي خلال سنوات 1881-1886م .

على الرغم من أن الصومال وشعبه وضعا تحت الحماية البريطانية بعد توقيع تلك المعاهدات ، إلا أن الحكومة البريطانية خانَت المصالح الصومالية بعقدها سنة 1897م معاهدة أخرى مع الحبشة تخلت فيها عن مساحة واسعة من الأرض الصومالية تعرف بمنطقتي الحوض والحمى للسيادة الحبشية دون إستشارة الشعب الصومالي أو إطلاعه . وقد عقدت هذه الترتيبات سرا بين إمبراطور الحبشة منليك ولورد رنل أوف رود . وفي سنة 1889م ، بعد مضي سنتين على هذا الوضع الشاذ ، قام أحد القادة الوطنيين الصوماليين ، الشيخ محمد عبدالله حسن ، بإنشاء حركة قومية عرفت بإسم (الدرأويش) في القسم الشرقي من البلاد وأعلن حربا شاملة لمقاومة فرض

(1) دراسات افريقية – مجلة بحوث نصف سنوية تصدر عن مركز البحوث والدراسات الإفريقية ، العدد 34 السنة 21 ، ديسمبر 2005م ، ص 79-80

(2) سفينة شيخ علي ياسين : مرجع سابق ص/50 .

(3) عمر ايمان ابوكير : تجربة المحاكم الإسلامية في الصومال . التحديات والإنجازات . ص/9 .

الإستعمار على وطنه . وشن حربا شديدة متقطعة طوال 20 سنة لتحرير بلاده من قيود الحكم الأجنبي . وأدركت الحكومة البريطانية أن السيد محمد عبدالله حسن يشكل تهديدا خطيرا فاستقدمت قوات مقاتلة من الهند ، ونيوز لاند ، وكينيا ، والسودان لمحاربة حركته الوطنية وكانت القوات الإيطالية والحيشية في تلك الأثناء تشارك في الحملة لمنع الحركة الوطنية من الإمتداد إلى المناطق الصومالية الأخرى التي كان يحتلها الإيطاليون والأحباش . وكانت الخسائر جسيمة لدى جميع الأطراف في تلك الحرب التي استمرت 20 سنة .

وفي سنة 1920م سحقت حركة الدراويش الوطنية ولم يقبض على مؤسسها وقائدها السيد محمد عبدالله حسن ، بل توفي وفاة طبيعية ودفن في إيمي ، في المنطقة الصومالية التي كانت واقعة حينذاك تحت الإحتلال الحيشي . ولم تتمكن سلطات الإستعمار من الإهتداء إلى قبره على الرغم من تحرياتها الواسعة عنه . وبعد وفاة السيد محمد عبدالله حسن الذي يذكره الشعب الصومالي الآن كبطل قومي عظيم ، برز عدد من القادة ، ولم يستطع النظام الإستعماري البريطاني في القسم الشمالي أن يستريح يوما من المقاومة الصومالية ، ولكن على إثر النضال السياسي الذي قام به الشعب في جميع أنحاء البلاد أنهى البريطانيون حمايتهم ومنحوا البلاد إستقلالها في 26 يونيو/حزيران 1960م . وبعد خمسة أيام أي في أول يوليو/تموز 1960م إندمجت مع الإقليم الصومالي الذي كان موضوعا تحت وصاية الأمم المتحدة ليشكلا معا جمهورية الصومال (1).

والشعب الصومالي يتكون من أصلين سامي وحامي . وقد إختلط هؤلاء الأجناس بعضهم ببعض وامتزجا إمتزاجا شديدا بالتزاوج والتناسل وغيرها . وقد أتى من جنوب الجزيرة العربية ومن الحجاز ومن شواطئ الخليج العربي فتزوجوا من أهل البحر الأحمر وخليج عدن على طول العصور القديمة والحديثة من أجل التجارة والإقامة . أما الحامي فهم الكوشيون وهذا الإسم يكثر جدا في أسماء الصومال في القديم وفي الحديث ، والكوشيون هم إحدى الموجات الحامية . ويعرفون أيضا الحاميين الجنوبيين تمييزا عن الحاميين الشماليين . فالكوشيون هم أول من هاجر إلى منطقة القرن الإفريقي من الحاميين عن طريق يوغاز (باب المنذب) . ويؤكد الباحثون أن الصوماليون إختلطوا بالعناصر السامية التي هاجرت من جنوب الجزيرة العربية في عصورها المختلفة وخاصة بعد إنتشار الإسلام إذ تزوج المهاجرون بنات شيوخ القبائل الصومالية فاختلطوا مع السكان وأصبحوا جزءا منهم فأثروا وتأثروا ، وأخذوا وأعطوا . ولم تكن العناصر المهاجرة قلة حتى تنوب في المجتمع وتفقده شخصيتها العربية والتأثير الأكبر وضوحا يوجد في المناطق الساحلية . كما أثبت الباحثون أيضا أن أشكال وملامح الصوماليون بصفة عامة لا تبتعد كثيرا من الملامح العربية (1).

4. القضية الصومالية : الجذور وعوامل الانفجار

الأزمة الصومالية المستحكمة وما يزيد على 18 سنة لم تنتفجر نتيجة لعوامل ناتجة عن أسباب مرتبطة بالمنظومة السياسية والإجتماعية والإقتصادية للشعب الصومالي فحسب . بل نحسب أن لهذه الأزمة التي تجاوز عمرها نصف عمر الدولة الصومالية الحديثة ما بعد المرحلة الإستعمارية جذورا أعمق وأخطر ذات علاقة مباشرة بالمرحلة الإستعمارية التي عاشها القطر الصومالي والتي تعتبر فريدة من نوعها (2) ونسبة إلى الموقع الفريد للصومال ، تسابقت الدول الإستعمارية لسيط نفودها على تلك البلاد ، ونرى أن الصراع الأوروبي في منطقة القرن الإفريقي بدأ في أواخر القرن التاسع عشر حيث غرس الكثير من المتاعب والمشاكل ، إنيمكن القول إن ما يعانیه الشعب الصومالي من تقسيم وتمزيق ومشكلات واختلاف وتداخل من دول كبرى وأخرى مجاورة في شؤونه ، يعود في الأصل إلى تلك الحقبة من القرن التاسع عشر . فقد شهدت تلك الفترة بداية التكالب الأوروبي الإستعماري على المنطقة الذي لعبت فيه بريطانيا وغيرهامن الدول الكبرى دورا رئيسيا لايمكن أن ينسأه الشعب الصومالي في تاريخه الحديث حيث تقاسمت بريطانيا العظمى وفرنسا وإيطاليا أراضي الصومال الكبير وقد أسرقت هذه الدول إثيوبيا في هذا التقسيم الإستعماري فحصلت بريطانيا على ميناء بربرة لتأمين المواد الغذائية لقواعدها في عدن ثم توسعت نحو المناطق الداخلية لتحتل كل شمال الصومال في الوقت الذي حصلت فيه إيطاليا على الجزء الأكبر من الأراضي الممتدة من بوصاصوا حتى ميناء كساميو في الجنوب ، بينما حصلت الإمبراطورية الفرنسية على ميناء جيبوتي والمناطق القريبة منها ، وكما حصلت الإمبراطورية الإثيوبية على إقليم أوغادين . هذا التقسيم إتبع سلسلة من التنازلات والمساومات السرية ليصبح الصومال الكبير مقسما إلى : جيبوتي لدولة فرنسا (الصومال الفرنسي) والأوغادين لإثيوبيا (الصومال الإثيوبي) وشمال الصومال لبريطانيا (الصومال البريطاني) والصومال الكيني NFD وجنوب الصومال ووسطه لإيطاليا (الصومال الإيطالي) . لذا وقع كل الصومال تحت الإستعمار (1) تم تقسيم الشعب الصومالي بين قوى إستعمارية مختلفة ثم حرمانه بعد

(1) نفس المرجع : ص/ 13 .

(2) صفة شيخ علي ياسين : مرجع سابق ص/ 54.

(3) البصائر - مجلة الكترونية داخلية تصدرها لجنة القضايا والأقليات الإسلامية التابعة للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين - العدد الثاني

شعبان 1428 هـ - 14 أغسطس 2007م - ص/ 17 .

(4) الأمين عبدالرزاق دم - التدخلات الخارجية وأثرها على الإستقرار في الصومال في الفترة من 1991 - 2002م . ط 2006م -

ص/ 31 .

ترحيل هذه القوى من تحقيق وحدته القومية بين أقاليمه الخمسة مما دفع الدولة الصومالية ومنذ قيامها تعتبر مهمة أساسية من مهامها هي إستكمال الإستقلال الناقص والمتمثل في إستعادة الأقاليم التي إستبقاها الإستعمار تابعة للدول المجاورة وخاصة إقليم الصومال الغربي " أوجادين " الذي كان محل مطالبة مبكرا من قبل الصومال ثم أصبح بؤرة نزاع دائم . إن الإنشغال المبكر لدولة الصومال الحديثة بخوض المعارك والحروب وبالتالي توجيه بوصلة الإهتمام العام للحكومات التي تعاقبت على إدارة الدولة نحو الإهتمام بالجانب العسكري وتكديس السلاح على حساب كل محاولات التنمية الأخرى وخاصة الثقافية والتعليمية منها ولّد حالة من الإستنزاف والترهل لهذه المؤسسة ونعني بها الدولة الشيء الذي جعل إعادة بنائها وإسترجاع هيبتها وبسط نفوذها على كامل التراب الصومالي بعد إنهيارها النهائي على إثر سقوط الحكومة التي كان يترأسها سياد بري أمرا يكاد يكون مستحيلا إستغرق الآن أكثر من 18 سنة دون أن يلوح هناك بصيص أمل في ذلك ، كما أن حالة العداء المستحكمة بين الصومال وجيرانه الأساسيين (إثيوبيا - كينيا) وخاصة إثيوبيا نتيجة الدور الإستعماري في رسمه للحدود بينه وبين هاتين الدولتين جعل هاتين الدولتين وبحكم خوفهما المتواصل من سكان هذه الأقاليم التي لاتخفى حينها وشعورها القومي وبالتالي رغبتها في الإنضمام إلى الصومال جعلهما يحرصان حرصا شديدا على العمل على الكيد ضد الصومال بأشكال وطرق متعددة من أجل عدم إستقراره ودخوله في حالة من الفوضى تجعله ينكمأ على نفسه ويتخلى عن حلم إستعادة هذه الأقاليم ولهذا فإن دخول الصومال في حالة من الحروب الأهلية وزوال سلطة دولته طيلة هذه السنوات هو بالضرورة يصب في مصلحة هاتين الدولتين . كما أن إعلان إستقلال الصومال الفرنسي "جيبوتي " كدولة مستقلة عن الصومال عام 1977م جعل بعض الأقاليم الأخرى ومباشرة بعد إنهيار مؤسسة الدولة في عام 1991م تلجأ هي الأخرى إلى إعلان إنفصالها وإستقلالها كما هو حاصل الآن مع ما يعرف بجمهورية أرض الصومال منذ سنة 1992م .⁽¹⁾

5. ضعف مؤسسة الدولة

كان إنهيار الدولة كمؤسسة هو من الأسباب الرئيسية لإنطلاق الأزمة الصومالية . كما أن فشل كل المحاولات التي قامت على إمتداد 18 سنة عمر الأزمة من أجل إعادة بنائها من جديد هو عامل أساسي من عوامل إستمرارها ، فإن ضعف المؤسسة وضعف الوعي لها وحضورها لدى المواطن الصومالي حتى إبان قيامها يعتبر الجذور والأسباب التي هيأت للوصول إلى هذه الأزمة حتى قبل إندلاعها . وإبتلاء هذا البلد بالإستعمار من قبل أكثر من دولة تختلف فيما بينها في النظم الإدارية والبناء المؤسساتي كان من ضمن الأسباب التي كانت لعبت دورا في التأسيس الضعيف للدولة ما بعد خروج هذه القوى الإستعمارية يضاف إلى هذا تكريس البعد القبلي الحاضر بقوة لدى الشعب الصومالي من قبل هذه القوى لفرض هيمنتها على القطر لأطول فترة محكمة . أما فترة العشر سنوات التي تولت فيها الأمم المتحدة زمام الأمور في إدارة البلاد لم تكن كافية لمعالجة هذه النقائص الجوهرية في بناء الدولة ومؤسساتها لتسلم فيما بعد إلى الشعب الصومالي الذي يغلب عليه الحضور القبلي القوي في إدارة شؤونه الإجتماعية التي سايرتها كل الأنظمة التي حكمت وخاصة نظام سياد بري الذي بالرغم من الشعارات "التقدمية " التي حاول رفعها في بداية عهده فإنه لم يزد هذا النمط الإجتماعي السائد لإتكريسا وكل ذلك كان على حساب ضعف مؤسسة وهوية الدولة المركزية .

6. التخبط الأيديولوجي والسياسي لنظام سياد بري

إن تبني محمد سياد بري ومنذ إعتلائه عرش السلطة في الصومال المنهج الإشتراكي والأيديولوجيا الماركسية كأيديولوجيا للدولة وما يعنيه ذلك من مصادمة صريحة لهوية وعقيدة الشعب الصومالي المعروف بتوحده بالإسلام فهو شعب يدين كله بالإسلام وموحد مذهبيا . فالصوماليون كلهم شافعيين . ووجه هذا التوجه بموجة من المعارضة والرفض وخاصة من قبل بعض علماء الصومال ولكن طريقة وأسلوب نظام بري العسكري في القمع والتنكيل بكل المعارضين لسياسته جعلته يحقق بعض النجاحات في تحلل فئات كبيرة من سلطات الدين فتفشيت العديد من مظاهر الإنحلال الأخلاقي وانتشار الرذيلة كمظهر من مظاهر التقليد الأعمى لما يحدث في المجتمعات الغربية والشرقية آنذاك . ومن أخطر نتائج هذا التوجه الأيديولوجي الذي إجتهد نظام سياد بري في فرضه على الشعب الصومالي هي ضرب مفهوم أساسي من مقومات وحدة الشعب الصومالي ممثلا في الإسلام . فتهميش هذا المقوم والعمل على هدمه من خلال محاربهته في جميع نواحي الحياة الإجتماعية والثقافية وحتى التعبدية الشعائرية كان له أثر أساسي وكبير على الأزمة والصراع الذي دخله الصومال منذ 18 سنة ولم يخرج منه بعد . كما أن التحول في الولاء السياسي من المعسكر الشرقي ممثلا في الإتحاد السوفييتي إلى ولاء مناقض ممثلا في الولايات المتحدة الأمريكية نتيجة وقوف موسكو إلى جانب نظام منجستو في أديس أبابا وتضحيتها بنظام سياد بري في مقديشو مما غير موازين القوى في ساحة المعركة الدائرة في إقليم الصومال الغربي " أوجادين " كل ذلك أثار حفيظة القيادة الصومالية آنذاك واتخذت أثناء ذلك وبصورة مفاجئة قرارا سياسيا حاسما بطرد خبراء الإتحاد

(1) البصائر - مرجع سابق - ص/ 18 .

السوفييتي البالغ عددهم (7000) . وبعد أن طوت مقديشو صفحة العلاقات الإستراتيجية مع الإتحاد السوفييتي إتجهت إلى الولايات المتحدة الأمريكية بوساطة سعودية . وكانت المملكة العربية السعودية قلقة من الوجود العسكري السوفييتي آنذاك في الصومال قبل أن يحصل هذا الطلاق البائن بين مقديشو وموسكو .

في الفترة من 12 - 14 يوليو 1977م قام الرئيس الصومال محمد سياد بري بزيارة مفاجئة لإجراء مناقشات مع القادة السعوديين . وبعد أقل من أسبوعين عرضت إدارة كارتر في 26 يوليو 1977م الحل محل الإتحاد السوفييتي كمصدر للأسلحة المطلوبة من الصومال وتخيلت القيادة الصومالية أن واشنطن ستصبح البديل الأمثل القادر على ملء الفراغ الكبير الذي خلفه الإتحاد السوفييتي بيد أن تلك الوعود قد تحولت إلى سراب ، حيث سلكت إدارة البيت الأبيض نفس الطريق الذي سلكه الإتحاد السوفييتي ، ولم تقدم شيئا للحكومة الصومالية . وكان رد فعل ذلك مرارة صومالية شديدة عبر عنها الرئيس الصومالي سياد بري أثناء زيارته له إلى جدة لترتيب الحصول على مساعدة سعودية . وفي 4 سبتمبر 1977م إتهم الرئيس الصومالي سياد بري الولايات المتحدة بالنفاق لسحب تعهداتها بالمساعدة .

7. الظلم والإستبداد والديكتاتورية

التجارب السابقة على مر العصور تدل بوضوح أن إنبهار الحكومة الدكتاتورية تعني نهاية الدولة، أو الإمبراطورية، والمؤسسات التابعة لها وهذا ما حدث في الماضي، وحدث بعد انهيار نظام سياد بري الدكتاتوري المستبد، وحدث كذلك في العراق ولا تزال نشاهد فصولا من مأساة الشعب العراقي، والسبب في ذلك يعود إلى أن الدكتاتور نفسه يقضي على جميع السلطات التشريعية، والتنفيذية، والقضائية، ويصبح الدكتاتور هو الشعب، والشعب هو، وحينئذ حينما يسقط يسقط معه كل ما جمعه في يديه. فقد رأينا أن سياد بري قد جمع من السلطات كل ما يسمى سلطة، حيث أصبح بالإضافة إلى رئيس الجمهورية رئيسا للوزراء والقائد الأعلى للجيش ورئيس المجلس القضائي وسكرتير عام للحزب الواحد (الاشتراكي) . وألغى إلغاء سياد بري مؤسسات المجتمع المدني . وفي ظل هذه الظروف يقل دور المشورة والنصح والتوجيه، بل ينعدم، ولا سيما أن سياد بري واجه المعارضين بالإعدام والحرق، ويكثر دور المنافقين، والمخترفين للصفوف، والأعداء وكذلك لا يبقى التماسك بين مكونات الدولة، لأنها هي المتضررة من كل ذلك، بل تتمنى زوال الحكم. وهكذا يصبح الشعب والدولة ضحية دكتاتور متجبر جاهل يفعل ما يشاء دون رادع ، ولن يتنحى عن الحكم إلا بالثورة العارمة، وبالتالي الفوضى الخلاقة " التي فعلت في الصومال ما فعلت".

8. المكون القبلي للمجتمع الصومالي

يعتبر الولاء للقبيلة في المجتمع الصومالي فوق كل الولاءات وبالتوازي مع هذا البعد في تشكيل عقلية وذهنية المواطن الصومالي وأن دعم هذا الولاء يكون بلا شك على حساب هيبة الدولة ومؤسساتها كما أن ضعف مؤسسات المجتمع المدني في جميع المجالات كان هو الآخر مدعما لحضور القبيلة كمؤسسة رائدة لا منازع لها في المجتمع الصومالي. وقد قام الإستعمار ومن بعده الأنظمة الحاكمة وخاصة نظام سياد بري بمزيد تكريس هذه الهيمنة المطلقة للقبيلة في المجتمع الصومالي بل أضافوا عليها عاملا آخر زاد من خطورة دورها فيما آل إليه الوضع في الصومال الآن، يتمثل في تسييس القبيلة وذلك بالتعامل معها وكأنها كيان سياسي زيادة على الاعتراف بها ككيان اجتماعي (1) وفي هذا السياق يقول البروفيسور البريطاني (إيوان لويس) الخبير بشئون الصومال في مقابلة مع صحيفة الشرق الأوسط (إن محمد سياد بري لم يتمتع بحس وطني حقيقي أو بروح وطنية حقيقية وهو خلال حكمه لم يظهر أي وطنية . إنه أساسا رجل إنتهازي عشائري مهتم فقط بتركيز السلطة بين يديه وحده وهو فعليا دمر بلاده) ولذلك فإنه وبعد سقوط السلطة المركزية في مقديشو لجأ المواطن إلى كيانات سياسية ذات مرجعية قبلية مما زاد في تعقيد الأوضاع وفشل كل محاولات بناء إطار سياسي وإداري موحد تستعيد به البلاد وحدتها وتضع حدا لحالة الفوضى التي يعيشها هذا الشعب (2).

9. نشأة الحركات المعارضة

كانت الهزيمة في حرب الأوغادين عام 1977م هي التي فجرت المعارضة لنظام سياد بري وممارساته الوحشية . وكان ضباط الجيش هم أول من عارض نظام سياد بري . فقام بإعدام عدد كبير منهم بعد محاولة الإنقلاب الفاشلة في أبريل 1978م وفر الباقون منهم إلى نيروبي ثم إلى إثيوبيا مكونين أولى جبهات المعارضة لنظام سياد بري وهي جبهة الخلاص الديمقراطي الصومالي (S S D F) Somali Salvation Democratic Front " .

(1) البصائر - مرجع سابق - ص/19

(2) عبدالرحمن ميرى هيرابي : عملية تدخل الأمم المتحدة والولايات المتحدة في الصومال في الفترة 1992-1995م بحث تكميلي لنيل دبلوم العالي - جامعة إفريقيا العالمية الخرطوم 1996-1997م . ص/12 .

وقد شارك مع هؤلاء الضباط بعض من العناصر المدنية من (المجبرتين) من السياسيين السابقين وقوات رجال الإدارة والتجارة وهي حركة تمثل مصالح قبيلة (المجبرتين) فقط⁽¹⁾ وتعتبر أولى تيار سياسي إنشق عن حكومة سياد بري وهي التي أتاحت الفرصة لباقى المعارضين في القوات المسلحة⁽²⁾. وفي أبريل 1981م قام عدد من المهارعين الإسحاقيين في لندن بتكوين الحركة الوطنية الصومالية Somali National Movement وأصبحت ثاني حركة معارضة لحكم سياد بري التي تعتمد على الأصل القبلي وقد منحتها إثيوبيا قاعدة في أراضيها بعد أن أصبحت غير قادرة على تحريك الجماهير في داخل الصومال حيث فشلوا في الاندماج وتكوين كوادرم في الصومال⁽³⁾. وفي عام 1982م تم التحالف بين الجبهتين جبهة S N M وجبهة S S D F ومنذ 1983م بدأت الحركة الوطنية إرسال الكوماندوز إلى داخل الصومال لتنفيذ عمليات هجومية ضد المواقع الحكومية. وعلى الرغم من إنتقادهم لسلوك سياد بري غير الإسلامي وغير الديمقراطي لكل شعب الصومال. ومن ناحية أخرى فإن الحكومة أوقفت نمو أي شعبية لهذه الحركات بعد أنها عاملت الأقاليم الموالية لهم بالحديد والنار وخاصة الإقليم الشمالي، بل فرقت في المعاملة بين قبائل الشمال بهدف إثارة الفتنة والفرقة بين صفوفهم، ومن ناحية ثالثة فإن النظام الصومالي تصالح مع ليبيا 1985م فأوقفت الأخيرة مساعداتها كلا الجبهتين. ومن ناحية رابعة فإن جبهات المعارضة إفتقرت إلى النظرية المتكاملة للوصول إلى السلطة وما بعدها. وعانت من إختلافات بين أعضائها في الأفكار والإستراتيجيات العامة وتركزت عقيدتها الأساسية حول إزاحة سياد بري من الحكم. وبالرغم مما سبق فإن حالة عدم الإستقرار السياسي قد ظلت تتصاعد وبخاصة في أعقاب حادث إقلاب سيارة سياد بري في مايو 1986م حينما اضطر إلى مغادرة البلاد للعلاج في الرياض لمدة خمسة أسابيع فأعلنت حالة من الطوارئ تحسبا لإحتمالات لإستغلال الموقف وكذلك شيخوخة الرئيس محمد سياد بري ونظلمات الشعب لقيادة جديدة. ومنذ ذلك الحادث فإن سياد بري لم يعد قادرا على إعادة سيطرته على السلطة بلا منازع لعدة أسباب أهمها إحتدام الصراع على من سيخلفه في الحكم، فقد أثار تولى ابنه الحكم مؤقتا حفيظة العديد من أقاربه، وصارعه على السلطة ابن عم سياد بري عبدالرحمن جامع بري وزوج ابنته أحمد سليمان دفضلي وشارك هذا الصراع وزير الدفاع محمد علي سمتر. وفي أعقاب الحادث وما تبعه من صراع على الحكم عقد سياد بري عزمه على تصفية من يمكن أن يحل محله، فقام بإبعاد عدد من أعضاء اللجنة المركزية للحزب الواحد كما أحال عددا من السياسيين ورجال الدين الممثلين في التيار الأصولي في المعارضة، وكان معظم هذه العناصر من أهل الشمال.

بعد ذلك أصبح الصراع على السلطة محصورا داخل دائرة الرئيس الضيقة بين ما يعرف بإسم الدستوريين ويقودهم محمد علي سمتر الذي تولى منصب رئاسة الوزراء وبين الأسرة الحاكمة التي تضم مصلح سياد بري نجل الرئيس وهكذا بدأ التحالف داخل الدائرة السحرية للسلطة في التفكك في المستويات العليا. وقد أدى تزايد عدم الإستقرار السياسي إلى سعي سياد بري للإتفاق مع إثيوبيا وعدم المطالبة بالأراضي الصومالية المتنازع عليها وكذلك وقعت الدولتان إتفاقية عدم إعتداء في أبريل 1988م وبذلك فقدت أقوى حركات المعارضة المسلحة S N M التأييد الرسمي الإثيوبي لذلك شقت الحركة طريقها حربا إلى شمال الصومال هرجيسا - بربرا - برعو - عير جابو⁽¹⁾ وبدأت المواجهة المسلحة بين الجيش الحكومي ومليشيات الجبهات في سنواتها الأولى في أماكن محدودة وفترات متقطعة، ولكن تدهور الوضع عندما إندلعت الحرب في وسط هرجيسا ثاني عاصمة الجمهورية الصومالية في 1988/5/27م وذلك عندما استأجر سياد بري طائرات (سوفيتية) مقاتلة من نوع (MIC . 19 و MIC . 17) تنطلق من مطار هرجيسا ثاني أكبر مدن الصومال لتصب حمولها على المدينة أدى في غضون أيام قليلة تحويل هرجيسا الجميلة إلى حطام بعد أن دمر أكثر من 80% من أحيائها وفر سكانها إلى إثيوبيا. ولم يتوقف القصف الشامل للمدينة إلا حين ترك المرتزقة عملهم إحتجاجا على عدم استلامهم رواتبهم وقد قدر عدد القتلى والجرحى في ذلك القصف بـ 100.000 فأصبحت المدينة أشباح سقوف بيوتها لم تعد موجودة وأكثرها مدمرة تدميرا شبيه كامل⁽²⁾. وفي هذه الأونة أصبح الإقليم الشمالي كله بلا قانون يحكمه واستعاد النظام الحاكم قبضته على المدن المحطمة. وفرت قوات الحركة الوطنية إلى المناطق الريفية والمناطق الجبلية المحيطة بالمدن لتزيد الحياة هناك سوءا⁽³⁾. ومما زاد الأمر سوءا قيام القوات الحكومية بقيادة صهر الرئيس الجنرال مورجان بزراع ما يزيد على نصف مليون لغم أرض مضاد للأفراد والأليات في هرجيسا ومدنيتين أخريين وأدى إنفجار هذه الألغام إلى وقوع عدد كبير من الضحايا خاصة الأطفال وذلك خلال الأعوام 1988-1990م⁽⁴⁾ وقد توالى إنشاء الحركات المعارضة ضد نظام سياد بري ففي عام 1989م تشكلت ثمانية حركات صومالية وهي كالاتي :-

(1) محمد يوسف موسى - القبليّة وأثرها على السياسة الصومالية - رسالة ماجستير - ص/ 12 .

(2) أبرز الآثار النفسية والتربوية للحرب الأهلية في الصومال. مرجع سابق ص 57

(3) عملية تدخل الأمم المتحدة. مصدر سابق ص 12

(4) القبليّة وأثرها في السياسة الصومالية - مرجع سابق - ص/ 182 - 184 .

(2) أبرز الآثار النفسية والتربوية - مرجع سابق - ص/ 58 - 59 .

(3) القبليّة وأثرها - مرجع سابق - ص/ 184 .

(4) أبرز الآثار النفسية - نفس المصدر - ص/ 58 .

- 1- الحركة القومية الصومالية **(SPM) Somali Patriotic Movement** من قبائل الأوجادين ومركز نشاطهم في جنوب الصومال ومعظم قيادات هذه الحركة من الجهاز الإداري للدولة والجيش الذين تم إقصاؤهم من مناصبهم والتي انتهت بعزل الجنرال " جابيو " وزير الدفاع الصومالي والقبض عليه وحرمان تمثيل أوجادين في السلطة السياسية .
- 2- المؤتمر الصومالي الموحد **(USC) United Somali Congress** تشكل في روما من سياسيين قدامى وضباط سابقين من قبائل الهاوية ومركز نشاطهم في وسط البلاد وحول مقديشو .
- 3- جبهة التحرير الصومالي **Somali Abo Liberation Front** من قبائل الأبو الصوماليين ومركز نشاطهم في المنطقة الجنوبية الجبلية .
- 4- جبهة التحرير المتحدة **Somali United Liberation Front** من قبائل الدوليهات ومركز نشاطهم في الصومال .
- 5- التحالف الديمقراطي الصومالي **Somali Democratic Alliance** من قبائل البانتو ومركز نشاطهم في جنوب الصومال .
- 6- الجبهة الوطنية المتحدة للصومال **National United Democratic Front For Somalia** ومعظمهم من الضباط المعارضين في الجيش الصومالي .
- 7- الجيش الوطني الصومالي **Somali National Army** من قبائل الأوجادين ومركز نشاطهم في وسط الصومال .
- 8- جبهة العمل الصومالي **Somali Action Front** ومركز نشاطهم في منطقة جوبا الجنوبية .⁽¹⁾

10. سقوط نظام بري والمواجهات العسكرية

مع تفاقم الأزمات الداخلية المتنوعة ، وصعود قوة جماعات المعارضة المناوية لنظام سياد بري في الصومال ، ظل الصراع المسلح يتصاعد باستمرار بين الجانبين ، حيث بدأ التصعيد أولاً بصورة تدريجية في شمال الصومال ، بسبب تفاقم المواجهة المسلحة بين القوات الحكومية والقبائل المسلحة التابعة لعشيرة الإسحاق، ثم امتد بعد ذلك إلى مناطق الشمال الشرقي ، ثم وصل إلى الجنوب منذ بداية عام 1991م ، بدءاً بالعاصمة مقديشو ، ثم امتد بعد ذلك إلى باقي المناطق الجنوبية وصولاً إلى مناطق الحدود الصومالية - الكينية . وظلت مناطق شمال الصومال دائماً الساحة الرئيسية للمواجهة العسكرية بين الجماعات المعارضة والقوات الحكومية التابعة لنظام سياد بري ، بحكم قربها الجغرافي إلى الأراضي الإثيوبية ، والتي كانت تمثل المنفذ الوحيد لقوات المعارضة لتنفيذ عملياتها في الصومال . ومنذ بداية الثمانينيات ، ظلت جماعتا المعارضة الرئيسيتان - الحركة الوطنية الصومالية **SNM** والجبهة الديمقراطية لخلّاص الصومال **SSDF** تنفذان عمليات عسكرية محدودة ضد نظام سياد بري . إلا أنها كانت ضعيفة الأثر ومحدودة الفعالية . وقد جاء التطور الأبرز في مسار المواجهة العسكرية بين جماعات المعارضة ونظام سياد بري عقب توقيع الصومال وإثيوبيا على معاهدة عدم إعتداء في 3 أبريل 1987م . ينص على إمتناع كل طرف عن تقديم مساعدات للطرف الآخر ، حيث كانت هذه المعاهدة تعني حرمان جماعات المعارضة الصومالية من استخدام الأراضي الإثيوبية كنقاط انطلاق للهجوم على الأهداف الحكومية داخل الصومال . ولذلك فقد اضطرت الحركة الوطنية الصومالية إلى تغيير إستراتيجيتها العسكرية بسرعة . حيث قررت الحركة أن تشن هجوم الفرصة الأخيرة قبل بدء العمل بهذه الإتفاقية ، وتقاتل بطريقتها الخاصة ضد نظام سياد بري . وقامت الحركة بشن هجمات مفاجئة ضد بورما وهرجيسا في مايو 1988م . وحاولت تحقيق أهدافها السياسية والعسكرية داخل الصومال قبل بدء سريان العمل بإتفاقية التسوية المذكورة ، وركزت في هجومها على مثلث هرجيسا - بربرا - بورما . والذي تقطنه غالبية ساحقة من قبائل الإسحاق ، ونجح هذا الهجوم الكاسح بالفعل في فصل شمال الصومال عن جنوبه بصورة مؤقتة ، حيث نجحت قوات الحركة في الإستيلاء على مدينة بورما وعلى معظم مدينة هرجيسا . ولمواجهة هذا الهجوم تعامل نظام سياد بري بمنتهى العنف والقسوة مع المعارضة الشمالية ، حيث أدار المواجهة كما لو كانت حرباً عسكرية واسعة ضد عدو خارجي وقام سياد بري بإرسال جيشه بالكامل إلى الشمال بقيادة صهره الجنرال محمد حرسى مورجان وكانت المعارك وحشية وبالغة العنف . وعانت هرجيسا من قصف بالغ العنف . وقامت القوات الحكومية بالانتقام من جميع أبناء الإسحاق حتى أولئك الذين كانوا يحاولون الهرب إلى الأراضي الإثيوبية .⁽¹⁾

وعندما فشل هجوم قوات الحركة الوطنية الصومالية في تحقيق أهدافه العسكرية ، فإنها اضطرت إلى التراجع إلى الأراضي الإثيوبية . وسمح لها منجستو بالانسحاب من الصومال والعودة إلى إثيوبيا . وأقام أفرادها في معسكرات اللاجئين هناك .⁽²⁾ وعلى الرغم من فشل هجوم الحركة الوطنية الصومالية في الشمال إلا أن هذا

(1) خالد رياض - الصومال الوعي الغائب ط1 - القاهرة 1994 - دار الأمين للنشر والتوزيع .

(2) احمد ابراهيم محمود - الصومال بين انهيار الدولة والمصالحة الوطنية - دراسة في آليات تسوية الصراعات في افريقيا - مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية - الأهرام - - القاهرة 2005م ص/ 184 - 185 .

(2) نفس المصدر - ص/ 186 .

التطور أدى بحد ذاته إلى التعجيل بعملية تفكك الدولة في الوسط والجنوب بالإضافة إلى التخريب الهائل في الشمال ، وانتشرت الفوضى والقتال والتنافس العشائري في كافة أرجاء الصومال . وقد بدأت المواجهات المسلحة تتصاعد بقوة منذ عام 1989م وامتدت إلى الأجزاء الوسطى والجنوبية من الصومال . وفي الوقت نفسه إتسع نطاق المعارضة لنظام سياد بري ، واتخذت هذه المعارضة صورة التمردات القائمة على أسس عشائرية ، وقد أدت ممارسات سياد بري القائمة على الإنتقام والعقاب العشائري واسع النطاق إلى دفع الصوماليين إلى تنظيم المعارضة على أسس عشائرية للدفاع عن العشيرة ، مما أدى إلى شيوع حالة من الإستقطاب العشائري الحاد في الصومال . وفي الوقت نفسه ، فإن فشل هجوم مايو 1988م أدى إلى تعزيز الإتجاه لدى قادة الحركة الصومالية نحو التعاون مع حركتي المعارضة الصوماليتين الأخريين . حيث اتفقوا مع كل من الحركة الوطنية الصومالية الجنوبية والمؤتمر الصومالي الموحد في ديسمبر 1990م على تنسيق عملياتهم العسكرية ضد نظام سياد بري ، واتفقت الجماعات الثلاث على عقد مؤتمر وطني عقب الإطاحة بنظام سياد بري من أجل تحديد الخريطة السياسية الجديدة للصومال بصورة جماعية ، مع الاتفاق على ضرورة امتناع كل طرف عن القيام بأي خطوات منفردة وأحادية الجانب .

11. تعدد جبهات القتال

مع تفكك الدولة في الشمال ، فإن الفوضى والقتال والتنافس العشائري امتد بسرعة إلى الوسط والجنوب . ومع أن نظام سياد بري حاول إحتواء الموقف في باقي أرجاء البلاد من خلال تقديم الإمتيازات والإغراءات إلى المناطق التي لم يصل إليها نفوذ المعارضة ، لضمهم إلى صفه ، ومنعهم من تأييد المعارضة إلا أن هذه السياسة لم تقلح في تحقيق أهدافها حيث تدهورت العلاقات بين نظام سياد بري وعشيرة الهاوية ، وعقب وقوع تمرد من جانب قوات عسكرية تنتمي إليها عشيرة الهاوية في منطقة "جالكعيو" في عام 1989م . مما أثار ردود فعل إنتقامية من جانب سياد بري ضد عشيرة الهاوية ككل واتخذت هذه الإجراءات شكل العقوبات العشائرية الواسعة كما حاول نظام سياد بري إستغلال أحد النزاعات العشائرية بهدف الهجوم على عشيرة الهاوية ، وهو ما أدى إلى نشوب إنتفاضة واسعة النطاق ضد هذا النظام عقب قيام القوات الحكومية بقصف مناطق إقامة عشيرة الهاوية في مقديشو بصورة عشوائية في نوفمبر 1990م . وقد أدت هذه التطورات إلى دفع الكثير من أبناء الهاوية نحو الإنخراط في المعارضة المسلحة للنظام من خلال المؤتمر الصومالي الموحد.⁽¹⁾

وعقب إندحار قوات الحركة الوطنية الصومالية في الشمال في النصف الأول من عام 1988م ، فإن الهجمات العسكرية استؤنفت من جانب جماعات المعارضة في بداية عام 1990م ، على كافة الجبهات ونجحت مليشيات الحركة الوطنية الصومالية الشمالية في تحقيق أهدافها . ومع أن الحكومة نجحت في بادئ الأمر في استعادة المدن الشمالية بواسطة المليشيات العشائرية الموالية للحكومة ، إلا أن الحركة الوطنية نجحت في تحسين موقفها العسكري بعد ذلك . وفي الوقت نفسه ، إتسع نطاق العمليات العسكرية التي قامت بها جماعات المعارضة الصومالية ضد نظام سياد بري ، حيث قامت الجبهة الديمقراطية لخلاص الصومال برئاسة الجنرال محمد أبشر وقام جناحها العسكري بقيادة الكولونيل عبدالله يوسف أحمد بعمليات مسلحة في شمال شرق الصومال . وفي مرحلة لاحقة ، بدأت الجبهة القومية الصومالية في شن هجمات ضد النظام منذ مارس 1989م ، وركزت عملياتها ضد قوات سياد بري في المناطق الواقعة عند منتصف حوض نهر جوبا فيما بين وسط وجنوب البلاد . كما بدأت قوات المؤتمر الصومالي الموحد في الإشتباك مع قوات سياد بري منذ منتصف عام 1990م وركزت عملياتها في مناطق الوسط والجنوب .

12. الإضطرابات داخل العاصمة مقديشو

في ظل تصاعد الحرب الأهلية في الشمال والوسط ، ازدادت الطبيعة القمعية لنظام سياد بري ليس فقط في مواجهة جماعات المعارضة ومؤيديها في مناطق الصراع ولكن أيضا داخل العاصمة مقديشو ذاتها . ومع أن سياد بري حاول في الوقت نفسه القيام ببعض الإصلاحات السياسية والإقتصادية المتأخرة لإحتواء المعارضة وقام بتغيير بعض مسؤولي الحكومة ، وأعلن عن العديد من الخطط الرامية إلى تحقيق إصلاحات واسعة في البلاد ولاسيما أن الممارسات القمعية العنيفة ضد جماعات المعارضة والعشائر التي يمثلونها كانت مستمرة في نفس الوقت . فقد أدت تلك الممارسات القمعية بالإضافة إلى الإتهامات الإقتصادية وإنتهاكات حقوق الإنسان إلى ازدياد إشتعال الأوضاع في العاصمة ، وإتساع نطاق المظاهرات العامة ، وكان أبرزها المظاهرة التي جرت يوم 14/يوليو/1989م والتي خرج فيها آلاف المواطنين في مظاهرة واسعة بناء على دعوة من أئمة المساجد في خطب الجمعة للإحتجاج على الأوضاع المتدهورة . وقد قامت القوات الحكومية بقمع هذه المظاهرات بعنف . وتشير التقديرات الحكومية إلى أن العديد من الجنود و23 مدنيا قد قتلوا وأصيب 59 فردا في هذه المظاهرات ، إلا أن بعض شهود العيان أكدوا على أن عدد الضحايا كان أكبر من ذلك بكثير .

(1) احمد ابراهيم محمود - مرجع سابق - ص/ 187 .

وفي أبريل 1990م قامت مجموعة مؤلفة من 114 شخصية من المثقفين ورجال الدين وزعماء العشائر وكبار الزعماء السياسيين في حكومات ما قبل إنقلاب 1969م بإصدار بيان للإصلاح السياسي بهدف الخروج من دوامة الحرب الأهلية ، وصدر هذا البيان في صورة رسالة مفتوحة موجهة إلى الرئيس سياد بري تحذره من مخاطر الإنهيار السياسي والإقتصادي والإجتماعي الناجم عن مساوئ نظام الحكم الدكتاتوري ، وتطالبه بالتخلي عن احتكار السلطة . وللخروج من دوامة الصراعات الداخلية دعا البيان إلى عقد مؤتمر للإنقاذ والمصالحة الوطنية وتشكيل حكومة مؤقتة لإدارة شؤون البلاد ، لحين إجراء إنتخابات تعددية حرة . وأطلق على موقعي هذا البيان إسم " جماعة البيان " . وفي رده على هذا البيان ، قام سياد بري بإعتقال معظم الذين وقّعوا عليه ، وقد أثار ذلك إستياء المجتمع الدولي . وفي يوليو 1990م قتل أكثر من 60 شخص من المواطنين على أيدي قوات الشرطة عندما قاموا بإلقاء الحجارة على سيارة سياد بري عندما كان يلقي خطابا . كما تمادت القوات الحكومية في عمليات قتل على الهوية في العاصمة ، كما استمرت عمليات القتل الحكومية للمدنيين في المناطق المختلفة . وقد أدى إفتقار نظام سياد بري إلى السيطرة الأمنية على الأوضاع في البلاد إلى الحيلولة دون إجراء إستفتاء عام على الإصلاحات السياسية التي كان بري قد أعلن عنها في عام 1990م.⁽¹⁾

من ناحية أخرى فإن الجيش الصومالي إنهار على أسس عشائرية إلى جماعات ومليشيات صغيرة ، وانضم أفراد هذا الجيش كل إلى عشيرته ، وظلت جماعة صغيرة فقط من أبناء عشيرة المريحان على ولائها لبري . وتحولت هذه القوات المسلحة إلى مجرد مليشيات تسعى إلى تحقيق أهدافها الخاصة ، والمصالح العشائرية الضيقة . وفي ديسمبر 1990م قامت جماعات المعارضة الثلاث (الجبهة الديمقراطية لخلاص الصومال – الحركة الوطنية الصومالية – المؤتمر الصومالي الموحد) بتنسيق جهودها العسكرية من أجل إسقاط نظام سياد بري إلا أن هذه الخطوة لم تأخذ شكل توحيد قوات المعارضة في كيان موحد ، وإخضاعها لقيادة مركزية موحدة ، وإنما اقتصر الأمر على مجرد تنسيق العمليات العسكرية بصورة فضفاضة . وعلى أية حال . فإن التنسيق العسكري بين هذه الجماعات الثلاث قد زاد من قدرتها على تصعيد عملياتها العسكرية ، وتمكنت من إحراق الهزيمة لقوات سياد بري . وظلت مليشيات المؤتمر الموحد بقيادة الجنرال محمد فارح عبيد تتقدم باستمرار منذ نوفمبر 1990م نحو العاصمة مقديشو وخلال هذه المرحلة حاول نظام سياد بري إستعادة زمام المبادرة العسكرية ، مستعينا بالمساعدات المالية التي حصل عليها من السعودية وقام باستئجار طيارين سوفييتيين مرتزقة لشن هجمات جوية ضد قوات المعارضة ، إلا أن ذلك كله كان متأخرا ، حيث كانت مقديشو تعج بجماعات معارضة صغيرة من عشيرة الهاوية التابعين للمؤتمر الموحد والذين كانوا يهاجمون أهداف الحكومة ، كما نجحوا في تدمير الطائرات القتالية التابعة للحكومة على الأرض ، كما نهبوا منازل كبار المسؤولين وكبار قادة القوات المسلحة ، واضطر هؤلاء بدورهم إلى الهروب من مقديشو بأعداد كبير.

في أوائل يناير 1991م أصبح القتال يدور داخل مقديشو ذاتها ونجح المؤتمر الموحد في تحقيق ما لم تنجح فيه جماعات أخرى وهو نقل الحرب إلى قلب العاصمة بعد أن كانت المعارك تدور في الشمال والوسط على مدى سنوات طويلة . وقد استمرت معركة مقديشو أربعة أسابيع كاملة . جرت خلالها معارك عنيفة في شوارع المدينة بين مقاتلي المؤتمر الصومالي الموحد والقوات الحكومية التي كانت ما تزال موالية لسياد بري.

وفي ظل هذه الأوضاع ، ظلت سلطة سياد بري تنقلص تدريجيا بحيث أصبح هو نفسه أسيرا في قصره ، لا يسيطر إلا على منطقة صغيرة في مقديشو إلى درجة أن البعض أطلقوا عليه لقب (عمدة مقديشو). ومع استمرار تدهور الأوضاع في العاصمة أعلن بري إستعداده للتخلي عن السلطة مقابل وقف إطلاق النار ، إلا أن جماعات المعارضة رفضت هذا العرض . وفي 27 يناير 1991م وصل نظام سياد بري إلى نهايته ، حيث هرب من العاصمة مقديشو على متن دبابة متوجها إلى منطقة " جدو " في الجنوب.⁽¹⁾ وكانت المعارضة أعدت تشكيل حكومة وطنية والتي تم الإتفاق عليها في إثيوبيا بين الحركات الثلاث المعارضة آنذاك . المؤتمر الصومالي الموحد بقيادة الجنرال عبيد ، والحركة الوطنية الصومالية SNM بقيادة عبدالرحمن تور ، والحركة القومية الصومالية SPM بقيادة أحمد عمر جيس ، حيث يكون الجنرال عبيد رئيسا للحكومة كواحد من كبرى القبائل الصومالية (الهاوية) ورئيس الوزراء من الإسحاق أصحاب السيادة في الإقليم الشمالي عبدالرحمن تور ، ووزير الدفاع من قبيلة الدارود من قبائل أوجادين . ولكن قبل أن يدخل عبيد في مقديشو وبعث تشكيل الحكومة أعلنت مجموعة من المهنيين ورجال الأعمال تعرف بإسم (المانفستو) اختيار علي مهدي محمد ليكون رئيسا مؤقتا لهذه المجموعة والتي كانت تتمتع في الغالب بدعم كبير من الحكومة الإيطالية والمصرية والولايات المتحدة الأمريكية.⁽²⁾ وهذا التعيين وما صاحبه من إنهيار الحكومة الدكتاتورية يمكن أن نعتبره هو أخطر قرار اتخذ في تاريخ الصومال الحديث . وكيف لا وهو القرار الذي أدخل الصومال في صراع مستمر دام 18 سنة لم يخرج منه إلى اليوم . ورفض الجنرال عبيد تعيين علي مهدي محمد رئيسا للبلاد وكان يعتبر نفسه وهو الذي جمع بين

(1) احمد ابراهيم محمود – مرجع سابق – ص/ 189 – 190 .

(1) احمد ابراهيم محمود – مرجع سابق – ص/ 191-192.

(2) جمال حمود الضمور – مشروعية الجزاءات الدولية والتدخل الدولي ضد ليبيا – السودان الصومال – مركز القدس للدراسات السياسية – ط 2004م ص/ 437 – 438 .

العسكر والدبلوماسية . فقد كان سفيرا سابقا للصومال في الهند – كما أن دخول قواته الأولى في العاصمة مقديشو كان يؤهله أن يكون هو الرئيس الأول للبلاد بعد سقوط نظام سياد بري . ولهذا بدأ الصراع بينه وبين علي مهدي محمد . وللتذكير فإن الرجلين ينتميان إلى نفس الفصيل (المؤتمر الصومالي الموحد) بل إنهما كذلك ينتميان إلى نفس القبيلة الكبرى (الهوية) كبرى قبائل الصومال . كانت هذه هي بداية الشرارة الأولى للخلاف بين رفاق الأمس ومن داخل الفصيل الرئيسي (المؤتمر الصومالي الموحد) كما أن الطعن في شرعية علي مهدي لم تأت فقط من جناح عيديد بل كذلك جاءت من خارجه إذ رفضت الجبهة الوطنية الصومالية الأوجادينية هذا التعيين لعلي مهدي محمد وأمام هذا الخلاف الحاد والذي سرعان ما تحول إلى اقتتال عنيف بين قوى هذه الفصائل وبعد أقل من 4 أشهر من سقوط نظام سياد بري⁽¹⁾ ونتيجة للخلافات حول منصب الرئاسة ، وجدت الحركة الوطنية الصومالية SNM والتي تمثل قبائل الشمال الإسحاق أنها مهمشة من أي دور في تقرير مصير الصومال ، وخاصة أن هذه الحركة قد تعرضت لأكبر نكبات سياد بري ، من تدمير مدنهم وقراهم وهلاك مصادر رزقهم على أيدي القوات الحكومية ، فانتهزت الفرصة وعلنت في 17/5/1991م قيام (جمهورية أرض الصومال) برئاسة عبدالرحمن على تور متخذة من مدينة هرجيسا عاصمة لها⁽²⁾ . كما أن فصيل عيديد في المؤتمر الصومالي الموحد وفي إطار الصراع على السلطة استطاع في أغسطس من سنة 1992م أن يشكل ما عبر عنه آنذاك (بالتحالف الوطني) والذي ضم إضافة إلى جناح عيديد والجبهة القومية الصومالية بزعامة الجنرال عمر جيس والحركة الوطنية لجنوب الصومال برئاسة عبد ورسمي والحركة الديمقراطية الصومالية برئاسة محمد نور عليو . وقد ناصبت تلك التنظيمات العداء لمهدي . وفاقمت المعضلة الصومالية واستند كل طرف صومالي على طرف خارجي أو أكثر وبهذا نستطيع أن نقول إن الصومال قد دخل في نفق الحرب الأهلية وحالة الفوضى العامة ولم يخرج منها إلى يومنا هذا .

13. توزيع الفصائل الصومالية المتناحرة الجغرافي

بالرغم من أن الحكومة أعلنت أنها مؤقتة ولن تبقى على الحكم إلا شهرا واحدا ريثما يتم عقد مؤتمر عام لإختيار حكومة وحدة وطنية جديدة ، إلا أن الجبهات المسلحة التي تعاونت على محاربة حكم سياد بري وقفت موقفا واحدا ضد الحكومة المؤقتة . والجبهات الرئيسية المعارضة للحكومة هي الجبهات التي تحالفت في " مستحيل " 1990م واتفقت على تقاسم الحكم بعد إسقاط حكم سياد بري وهي :-

1. جبهة المؤتمر الموحد جناح عيديد (U S C) .
2. الحركة القومية الصومالية (S N M) .
3. الحركة الوطنية الصومالية (S P M) .

وقفت هذه الجبهات ضد الحكومة المؤقتة واعترضت حق جناح من أجنحة المؤتمر الموحد في تكوين الحكومة المؤقتة بدون مشاركة الجبهات المسلحة الأخرى ، فبدلت الحكومة المؤقتة جهودا عظيمة في إقناع قيادة الجبهات المسلحة بالإشراك في عقد مؤتمر عام في آخر فبراير لإختيار حكومة مؤقتة ولكن رفضت الجبهات بشدة . وتطورت الخلافات بين الجبهات التي أسقطت حكم سياد بري إلى إندلاع معارك جديدة فيما بينها . فقد وقعت معركة كبيرة بين (S P M) و (U S C) فجبهة (S P M) كانت متعسكرة في أفجوي على بعد 30 كم من مقديشو ودعت الحكومة المؤقتة زعيم الجبهة أحمد عمر جيس للإنضمام إلى الحكومة ولكنه رفض بشدة قائلا : " إنه يراعي عهده مع عيديد في إثيوبيا " ولا يعترف الحكومة المؤقتة . وقد أرسلت الحكومة وفودا عديدة لمحاولة إقناعه إلى المشاركة في الحكومة المؤقتة ولكنه أصر على رفضه . وقد إنضم إلى عمر جيس عدد من أنصار سياد بري وأشيع بأن هؤلاء يحرضون عمر جيس بالهجوم على مقديشو . وقد قام بعض جنود عمر جيس مضايقات على أهالي أفجوي ووضعوا مداخل البلد نقاط التفقيش . وقد تقام الخلاف بين الحكومة وعمر جيس مما أدى إلى إندلاع معركة حاسمة صباح يوم الخميس 7/2/1991م بين قوات أحمد عمر جيس وبين قوات المؤتمر الموحد ، وكانت القوات غير متكافئتين فهرب عمر جيس بقواته إلى بيدوا حيث كانت تدور معارك بين أهالي بيدوا وبين قوات S P M يقودها السيد جيس . فواصلت مليشيات USC مطاردة قوات عمر جيس حتى وصلت بيدوا حيث تدور المعركة . وبعد قتال عنيف تبودلت فيه كل الأسلحة الخفيفة والثقيلة إنهزم جيش الحركة الوطنية من المناطق القريبة من مقديشو .

أثناء هذه الفترة برز إلى الوجود جبهة جديدة باسم الحركة الديمقراطية الصومالية S D M وتنتمي إلى قبائل دجل ومرقلة وهي الجماعة التي قدمت بيانا في نوفمبر/ 1990م باسم سكان ما بين النهرين شيبلي وجوبا . وتحالفت هذه الجبهة الجديدة مع المؤتمر الموحد وتسلمت مسؤوليتها في بيدوا ونواحها ولكنها لم تكن ذات إمكانيات فعالة في حسم المعارك الدائرة لأنها لم تملك أسلحة ولا إمكانيات مالية في تمويل مليشيات الحركة . ولما وصلت الحركة الوطنية إلى كسامايو ظهرت إتجاهات جديدة للجبهات المتحالفة ضد سياد بري وأهدافها . وبعد

(1) مجلة البصائر – مرجع سابق ص 21 .

(2) جمال حمود الضمور – مرجع سابق – ص/ 438 .

معارك بيدوا وانتقال العقيد جيس إلى كسمايو برزت أمام الجبهات التي تحالفت في عهد (مستحيل) لإسقاط حكم سياد بري عقبات لم تكن متوقعة عند التحالف ، إذ كان التحالف منصبا على هدفين : هدم حكم سياد بري وبناء حكومة جديدة على أنقاض حكمه على أيديهم ، ولكن تحقق الهدف الأول . أما الهدف الثاني فقد سبقهم إليه جناح البيان من المؤتمر الموحد إلى السلطة وأصر على تمسكه . فلا بد إذن من تخطيط جديد من قبل الجبهات الثلاثة المتحالفة ، فقد واجهت عقبات تقتضي إتخاذ خطوات وأهداف مناسبة للأوضاع المتجددة . وانضمت الحركة الوطنية إلى تحالف جديد نشأ في كسمايو بقيادة الرئيس السابق بإسم (DAS) ويتكون هذا التحالف من قبائل دارود وحلفائهم ويكون في مقديشو تحالف مضاد من تحالف قبائل هوية وحلفائهم . وهكذا تحول إتجاه المعارك إلى حروب أهلية بعد أن كان حربا موجها لإسقاط حكم سياد بري وإنشاء حكم عادل على أنقاضه . أما الحركة القومية (S N M) فقد أعلنت أنها خرجت من التحالف ضد سياد بري حيث إنضمت إلى فوله الساعية لإستعادة الحكم لذلك قررت إلغاء التعاون معها ثم توقفت في الشمال لعلاج مشاكل المنطقة وتركت أهل الجنوب يتناحرون فيما بينهم ، وقد نجحت في توحيد القبائل التي كانت متناحرة لأن بعض القبائل كانت مع سياد بري في حربه ضد S N M فاستطاعت الحركة القومية أن تصلح بين تلك القبائل وتكون إدارة مؤقتة للمنطقة تطورت إلى الإنفصال عن الجنوب . أما جناح عبيد من المؤتمر الموحد فقد أجل معارضته للحكومة المؤقتة وتعاون معها للحيلولة دون خطورة عودة سياد بري إلى الحكم وخاصة عندما وصلت قواته إلى أفجوي بعد أن إستولت على جميع المناطق التي كانت تابعة للحكومة المؤقتة .⁽¹⁾

14. المعركة الحاسمة بين عبيد وسياد بري

كانت قوات سياد بري متمركزة في بيدوا ونواحيها وقد استعدت لخوض معركة جديدة بعد إنتهاء معركة مقديشو وقد أشادت وسائل الإعلام العالمية قوات سياد بري وذكرت بأنها قوات جيدة التسلح والتدريب وقوامها 5000 جندي بأسلحة حديثة ، وربما لا تقوى قوات المؤتمر الصومالي الموحد U S C على مقاومتها وأن فرص إستعادة الحكم أمام سياد بري محتملة كما أن سياد بري نفسه أجرى مقابلة صحفية لمراسل إيطالي في بيدوا وذكر بأنه الرئيس الشرعي في الصومال ، وسيقوم بواجبه لإعادة الأمن والإستقرار في ربوع البلاد . أما القوات التابعة لسياد بري المواجهة لمقديشو عن طريق براوة بقيادة مورجن فلم يعلن عنها شيء يذكر . وفي صباح يوم 1992/04/11م زحفت قوات سياد بري على العاصمة مقديشو فاستولت على المطار العسكري في بلي دوجلي الذي يبعد من العاصمة 100 كم وهو المطار الذي يستقبل القات يوميا ما بين 8 - 10 طائرات صغيرة تحمل القات وكذلك طائرات الركاب ، لأن مطار مقديشو كان مغلقا بسبب المعارك التي دارت حوله سابقا فواصل الرئيس محمد سياد بري زحفه واستولى على مدينة ونلويين واستمر الزحف حتى قرب إلى مدينة أفجوي القريبة من مقديشو . وبالرغم مما أشيع من قوة جيش سياد بري وإمكانية عودته إلى الحكم فإن سكان مقديشو لم يبرزوا ولم يهربوا كما فعلوا في نفس الشهر من العام 1991 حينما وصلت قوات سياد بري إلى أفجوي وهددت العاصمة في صباح يوم 1992/08/08م وكانت قوات الجنرال محمد فارح عبيد أثناء زحف قوات سياد بري تقوم عمليات المقاومة وعمل عراقل وعوائق على تقدمها ولم تقم بهجوم مضاد. وفي صباح يوم 1992/04/25م قامت قوات تحالف عبيد بهجوم مضاد من ثلاثة جبهات :-

- 1- الجبهة اليمنى لقوات سياد بري بقيادة الجنرال عبيد نفسه وحليفه العقيد محمد نور عليو .
 - 2- الجبهة اليسرى القادمة من جهة براوة بقيادة العقيد أحمد عمر جيس .
 - 3- الجبهة الوسطى القادمة من جهة بارطيري بقيادة العقيد عبيد ورسة .
- فقام عبيد بهجوم عنيف قوي جيد التخطيط ضد قوات الرئيس سياد بري المتمركزة في بلي دوجلي إلى بيدوا فلم تقاوم قوات الرئيس فانهزمت بسرعة في نفس اليوم وأسر عدد كبير منهم ونقلوا إلى مقديشو وقتل عدد منهم فهرب الباقيون إلى بيدوا واستولت على مدينة بيدوا في 1992/04/21م فهرب الرئيس سياد بري بفلوج جيشه إلى مجمع قواته في قرية بورطوبو ، ولكن قوات عبيد استمرت في المطاردة حتى وصلت إلى وكره الأمين فأخرجته ثم هرب إلى بلدة عيل واق الكينية مع عدد من قواته وكانت أكبر من 1000 جندي فطلب من الرئيس الكيني النجدة لإنقاذه فأرسل أرب موي طائرة عمودية خاصة إلى عيل واق في مساء يوم 1992/04/29م فنقلته إلى مدينة جارسا وتولى أمره مخابرات كينيا وجردوا الأسلحة من أتباعه ثم نقلوهم إلى نيروبي . وقد أعلن أرب موي بأنه يسمح له البقاء في كينيا حتى يعد له مأوى في بلد آخر وبعد أسبوعين من وصول سياد بري إلى نيروبي شعرت الحكومة الكينية بأن بقاءه في كينيا يسبب لها متاعب ومشاكل . وفي صباح 1992/05/15م أذاعت لندن بأن أرب موي أبلغ سياد بري بأن بقاءه في كينيا غير ممكن ولا بد من مغادرته في أقرب وقت ممكن . وفي يوم 1992/05/18م غادر سياد بري من نيروبي متوجها إلى لاجوس عاصمة نيجيريا التي قبلته بالبقاء وأعطته حق اللجوء السياسي وبقي هناك حتى وافته المنية في ضحى يوم 1995/01/02م .⁽¹⁾

(1) عبد الرحمن حسين (ابو حمزة) سنوات العجاف الأولى في الصومال 1990-1994م - ص/ 51 - 52 .
(2) نفس المصدر ، ص/ 85 - 86 .

15. الصراع بين علي مهدي والجنرال عيديد

رفض الجنرال عيديد الذي وصل إلى العاصمة بعد سقوط سياد بري موافقة تعيين علي مهدي رئيسا للبلاد معلنا أنه هو صاحب الحق في هذا المنصب . لذا أخذت العلاقات بين الرجلين تزداد توترا يوما بعد يوم فقد كانت الاتهامات متبادلة واستعدادات القتال تجري على قدم وساق كما حدثت إشتباكات مسلحة بين أنصار الرجلين في شهر مايو - يونيو - سبتمبر من عام 1991م حتى وصل الأمر في 1991/11/17م إلى إعلان الجنرال بالإنقلاب ضد الرئيس المؤقت وتسليم اللجنة التنفيذية للمؤتمر الموحد برئاسته مقاليد السلطة في البلاد فتحول الإنقلاب إلى حرب واسعة الإنتشار بين الطرفين استمرت أكثر من مائة يوم اشتركت فيه معظم فروع قبيلة هوية وقبيلة در إلى جانب الجنرال عيديد .⁽²⁾ وحصد خلالها حياة ما بين 25.000 - 30.000 نسمة وأصيبت مئات الآلاف الأخرى بإصابات بالغة تحوي إصابات عقلية ونفسية وبدنية ونزح أكثر من ثلثي سكان العاصمة إلى المناطق الريفية والبدوية.⁽¹⁾ وقد استمر الصراع بين الجانبين حتى تم توقيع على اتفاقية لوقف إطلاق النار في 3 مارس 1993م بواسطة ومراقبة الأمم المتحدة ، وجامعة الدول العربية ، ومنظمة الوحدة الإفريقية . ونجد أن عيديد كان يتمتع بمجال جغرافي أوسع من منطقة علي مهدي فهو يسيطر على الحد الجنوبي و " ودجر " ومعظم الضاحية الغربية بينما كان مهدي يسيطر على مساحة صغيرة في شمال العاصمة " كاران " .

بنهاية عام 1992م صار الصومال مجزءا إلى خمسة أجزاء منفصلة عن بعضها البعض . فالمحافظات الشمالية تخضع لسيطرة أجنحة الحركة الوطنية الصومالية ومركزها مدينتي (بربرا وبرعو) . والمحافظات الشرقية والوسطى تحت سيطرة الجبهة الديمقراطية لخلاص الصومال ، والعاصمة وما حولها تحت السيطرة المتنازعة لحركة المؤتمر بين عيديد ومهدي ، والمحافظات الجنوبية والجنوبية الغربية تتوزع بين الحركة القومية الصومالية ومركزها مدينة (كسمايو) والحركة الديمقراطية ومقرها مدينة (بيدوا) بالإضافة إلى القوات الموالية لسياد بري الصومالية ومركزها (بارديرا) . وبعد أن كان الحلم الصومالي القومي هو إستعادة بقية الأقاليم الخمسة التي ترمز لها النجمة الخماسية الأطراف في العلم الصومالي ، آل الأمر إلى تقسيم الجمهورية الصومالية التي أعلنت وحدتها بين الشمال والجنوب منذ الإستقلال إلى دويلات منفصلة تحت سيطرة القوات المتصارعة التي ودعت الحلم القومي للوحدة الصومالية ، وأيضا الأمل في عودة الأمن والاستقرار إلى ربوع الوطن الصومالي.⁽²⁾ وبعد إنسحاب الأمم المتحدة في مارس 1995م عادت الأحداث في الصومال إلى ماكانت عليه قبل تدخل الأمم المتحدة . فالرئيس الدكتاتوري المخلوع سياد بري توفي في المنفى في نيجيريا في يناير 1995م لذلك لم يكن هنالك أي خطر أو خشية من عودته لإستكمال تدمير الصومال الذي شارك فيه هو شخصيا . لكن لسوء الحظ ألفت تركته بظلال مهلكة على سياسة جنوبي الصومال تستمر لسنوات أطول.

في 15 يونيو وبعد طرده من زعامة SNA/USC التحالف الوطني الصومالي/ المؤتمر الصومالي الموحد بواسطة علي مهدي ومعارضين آخرين تمكن عيديد من أن يحصل لنفسه على تعيين مجموعة من أصدقائه له كرئيس مؤقت للبلاد وعينهم كوزراء ومن بينهم بعض المستبدين من صومالاند الذين رأوا أن يبحثوا عن وظائف أخرى بديلة . وكانت عشيرة الـ (هيرغدر) متحفزة للمشاركة مرة أخرى ، فقد نجح عيديد في توسيع مملكتهم إلى داخل الأراضي ظهر النهر بالإستيلاء على بيدوا ، حدر ، ودولو . وإشتد صراع هيرغدر مع أبغال في مقديشو في نزع أبريل عام 1996م على تنافس بين الوكلاء والعملاء التجار بين الأمريكيين والإيطاليين للتحكم في صادرات الموز . وفي تلاحم حاد بين مسلحي أبغال وهيرغدر في مقديشو في أغسطس 1996م أصيب عيديد بجراح خطيرة وحسب بعض التقارير بواسطة مليشيات مولية لموسي سودي يلحو ، وبحسب البعض الآخر بواسطة مليشيات عثمان حسن علي عاتو وقد تم نقله إلى أحد المستشفيات الخاصة وأجريت له عملية لإنقاذ حياته إلا أنه فارق الحياة⁽¹⁾ . وهكذا سقط في حي من أحياء العاصمة مقديشو مجددا وتباينت آراء الشارع إزاء هذا الحدث فالبعض رحب بهذه الخطوة معتبرا أن الوقت قد حان لعقد مؤتمر جامع لتخطي الخلافات ولبناء حكومة وحدة وطنية تعيد الأمن والاستقرار . في حين أن البعض الآخر فوجئوا بموت هذا الجنرال الذي يعتبرونه زعيما . وأيا كان الأمر فإن ما كان يتوقع من مصالحة بين الفصائل لإقامة نظام لم يحدث بل انشطر المؤتمر الصومالي الموحد وتفرق أعضاؤه وأصبحوا زعماء فصائل يسيطر كل منهم جزءا من العاصمة لا يسمح لغيره بالتدخل فيه وفشلوا في تحقيق ما كان يصبوا إليه الجميع . إذن فما هي أسباب فشلهم في تشكيل حكومة وحدة وطنية تضع حدا لمشاكل الصومال ؟؟

(2) حسن محمود عبدالله - الجبهات الصومالية (النشأة والتطور) ، ص/ 127 - 128 .

(1) محمد احمد شيخ علي - التدخل الدولي في الصومال - الأهداف والنتائج - مركز الرصد للإرسالات 2005م - ص/ 14 - 15 .

(2) خالد رياض - الصومال الوعي الغائب - مرجع سابق ص/ 120 - 121 .

(1) I.M. Lewis A modern history of Somalia - Eastern African Studies Nation and State in the Horn of Africa - Ohio University Press 4th ed 2002. P 281

16. أسباب فشل المعارضة في إقامة البديل

في غياب برنامج متفق عليه لتقاسم السلطة وحكم البلاد وإقامة حكومة بديلة لم يكن من المستغرب - في مجتمع لم يتبلور فيه مفهوم الدولة الحديثة بعد - أن يثور نزاع مسلح بين هذه الحركات حول من يخلف الرئيس ويحكم البلاد وذلك لعدة أسباب منها:-

1- كانت كل فصيلة من تلك الفصائل التي شاركت في إسقاط الحكومة تنتمي إلى قبيلة معينة وأدت تلك الصفة بأن لا يحظى فصيل معين على تأييد باقي الشعب الصومالي، كما أن الخلافات كانت تعصف حتى داخل الفصيل الواحد بالإضافة إلى الكراهية والحساسيات القبلية الموجودة بين تلك الفصائل .

2- أنه لم يكن للصوماليين تراكم حضاري سياسي وثقافة سلطوية تاريخية يمكن على أساسها حسم الأمور السياسية المتنازع عليها .

3- أن الأعراف الديمقراطية الرعوية الصومالية التي يمكن عن طريقها حل مشاكل المجتمع الرعوي في البادية لم تكن صالحة لحل أزمة حكم حديث العهد نسبياً على الصوماليين، ولم تخلف تجربة الحكم السابق بعهديه المدني والعسكري تراثاً كافياً يمكن الاستفادة منه في حكم البلاد .

4- إن الرعاة وأشباه الرعاة يمثلون معظم السكان ويكونون هم وفقراء المدن والأرياف أكثر من 90% من قوة مليشيات الفصائل الصومالية، وهؤلاء لا يعرفون شيئاً عن حقيقة الدولة وذلك لعدم وجود أية صلة لهم بالسلطة المركزية ويتصورون أن الدولة - أياً كان نظامها - وأهل الحضر كلاهما عدو لهم وبالتالي فإن هدم الدولة وإلحاق الضرر بها في نظرهم نوع من العدالة والمساواة وما يبالونه بواسطة التخريب والنهب والسلب ما هو إلا غنيمة لهم . وهذا يعكس مدى الهوة الشاسعة بينهم وبين الدولة التي لم تمد يد التنمية والتطوير إلى حياتهم التعيسة بينهم من قبل .

5- إنهيال الجيش الوطني : إن سياد بري كان قد زج بالجيش في الحروب القبلية وقتل المدنيين الذين ما أنشئ الجيش إلا للدفاع عنهم . وعندما إنهارت الحكومة كانت هنالك حاميات عسكرية للجيش ما تزال ترابط في مناطق مختلفة من الصومال وعندما شكلت حكومة علي مهدي التي كان يمثل عمر عرته غالب رئيس وزرائها ألقى (عرته) خطاباً موجهاً للجيش عبر الإذاعة التابعة للحكومة يناشد فيها الجيش لتسليم أسلحته إلى الفصائل التي تسيطر عشائرها المناطق التي يربط فيها الجيش فبدلاً من أن تستفيد هذه الحكومة من الجيش في استعادة النظام والقانون أمرت بتسريحه مما أدى إلى أن يتوزع أفراد الجيش بين القبائل حسب الإنتماءات العشائرية وضاعف كذلك إنتشار السلاح وسيادة الفوضى ونشوب الصراعات العشائرية (1)

17. آثار الحروب الأهلية في الصومال

خلفت الحروب الأهلية في الصومال أضراراً وآثاراً لحقت بالوطن والمواطنين وظهرت تلك الآثار في شتى مجالات الحياة السياسية والإقتصادية والأمنية والاجتماعية والبيئية و تنتاول بعض تلك الآثار .
الآثار السياسية : كان من أعظم نتائج الحرب علي المستوي السياسي ذهاب الدولة المركزية ذات السيادة وغيابها عن الحضور إقليمياً وعالمياً، ومن ثم لم يعد للسفارات الخارجية للصومال وجود، أو دور يذكر في ترتيب أوضاع المغتربين في أنحاء العالم. بل أصبح الصوماليون كشعب في العراء دون أي غطاء يستندون إليه أو يلجأون له . مما دفع إلي إنتهاك حقوقهم وإهدار كرامتهم. وغاب الصومال عن جميع الهيئات والمنظمات الدولية والإقليمية كالأمم المتحدة وجامعة الدول العربية، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، ومنظمة الوحدة الإفريقية وغيرها. وهذا يعني غياب قضاياها وهمومها وممثليها الشرعيين في هذه المؤسسات (1) كذلك فقد أسفرت الأزمة السياسية الصومالية عن اضطرابات سياسية ومصادمات دموية بين الجهات والقبائل المتعارضة بعد سقوط النظام، كما أدت إلى فقدان الأمن والاستقرار وتقضي الفوضى في البلاد والتفكك والتمزق والإنهيار . وأصبح الصومال من غير سلطة مركزية موحدة، حتى إن المواجهات داخل العاصمة أدت إلى هدم المؤسسات السياسية مثل البرلمان، الحكومة، الحزب، الدستور . ومن جانب آخر فإن هذه الأزمة فتحت الباب للتدخل الخارجي للدول المجاورة ودول الغرب في الشؤون الصومالية الداخلية وهذا التدخل كان ينتظر الفرصة السانحة ليوطئ أقدامه ويكون نظاماً سياسياً بمفهوم غربي تابع له، ولهذا أزاح كل من يعوق أمامه.

في أعقاب الإطاحة بالنظام لم تستطع المعارضة تشكيل حكومة وحدة وطنية تملأ الفراغ الذي خلفه النظام وتقود البلاد إلى بر الأمان، ولكن دبّت فيما بينها خلافات سياسية وقبلية حادة أدت إلى إنزلاق البلاد في حروب أهلية شاملة . ونتيجة لهذا الفراغ السياسي إنتقلت قوة الدولة وثروتها إلى الشعب حيث امتلكت كل قبيلة بكل أسرة وكل

(1) عبدالقادر نور جيدي الصومال وقضية التحول من مجتمع رعوي الى مجتمع مدني - رسالة ماجستير غير منسور 2001م، ص/ 202 - 203.

(1) قرأت افريقية - الفقر في افريقيا واستراتيجية اختزاله مجلة ثقافية فصلية متخصصة في شئون القارة الإفريقية تصدر عن المنتدى الاسلامي - بريطانيا سبتمبر 2005م - العدد الثاني ص/12.

شخص نصيباً مقدرًا من الأسلحة والذخيرة⁽¹⁾ واختفت سلطة الدولة وكادت القبائل تكرر دورها القديم مثل إقامة الدولة حيث أصبحت تسيطر على المطارات والموانئ لكنها لحسن الحظ لم يصل بها الأمر إلى درجة عقد صفقات مع دول إستعمارية للإستفادة منها مثلما حدث في القرن التاسع عشر عندما تعاهدت بعض القبائل مع الفرنسيين والبريطانيين والإيطاليين في الإنتفاع بهذه الموانئ.⁽²⁾ كما أنه لم تعد هناك أنظمة تقليدية، فقد إنهارت كل المؤسسات الحكومية وتحولت إلى مباني سكنية بعد نهبها وإحراق الوثائق المحفوظة فيها، كما أصبحت أغلب المؤسسات تحت سيطرة القبائل والعشائر لتتفق عائدها في مهامها الحربية، وانفرد أمن المجتمع وسادت الفوضى في كل مكان، وأصبح القتل والنهب والتدمير سمات بارزة للمجتمع حيث تم تدمير البنية التحتية للدولة، ونهب جميع الممتلكات العامة والخاصة وأحرقت القرى والمدن ولقي مات الآلاف من الأبرياء حتفهم نتيجة للصراع الدموي على السلطة أو النهب المسلح الذي تمارسه مجموعات الموريان (Mooryaan) المنتشرة في طول البلاد وعرضها وهي مدججة بمختلف أنواع الأسلحة الثقيلة والخفيفة وتوفقت جميع الخدمات في البلاد حتى لا يهرب، ولا تعليم، ولا إتصالات، ولا دواء.... إلخ. وسيطر الكيان القبلي على مجريات الأمور في البلاد حيث انقسمت الدولة إلى كيانات قبلية وعشائرية وظهرت قيادات قبلية تتقن القتل والتدمير ولا تجيد الحوار والتفاوض وتقدم مصالحها الخاصة على المصالح العامة. وتصعد بذلك المجتمع الصومال وانقسم إلى قبائل وعشائر وأفخاذ وتباعدت أفكاره وأمتلأت قلوبهم بالحقد والكراهية والضغينة ويات شعارهم الثأر والإنتقام، وأمراض الباطن قد طفحت على سطح المجتمع. وكل هذا لم يحدث لو كانت القيادة تتمتع بالكفاءة وحسن النية وكان لديها الرؤية الثاقبة للأمور والأحداث الجارية حولها، ولكن الأثنية وإشباع عرائز السلطة والتعصب القبلي تدخلت ولعبت دورها وفعلت فعلتها في المجتمع الصومالي ومصيره.

الأثار الاقتصادية: هُتت البلاد أثناء الحرب الأهلية إهياراً إقتصادياً رهيباً حيث أوقفت الحرب النشاط الإقتصادي والتجاري الذي كان يمارسه الشعب. فنتيجة للصراع على السلطة أغلق الميناء والمطار الدوليين وأحرقت المزارع واصبحت الثروة الحيوانية عرضة للنهب وتوقفت الأنشطة التجارية كلية، ولم تعد المصانع- العامة والخاصة- قادرة على الإنتاج حيث تعرضت للنهب وتم نقل معداتها- بعد تفكيكها - إلى بعض الدول الخليجية ومن ثم بيعها بثمن بخس. وبالنسبة للعملة فقد انخفض مستواها إلى 8000 شلن صومالي مقابل دولار، وأما فرص التعليم والتدريب والعمل فقد غابت.⁽²⁾ كذلك تعرضت السواحل الصومالية لنهب دولي حيث تمت ومازالت سرقة كميات هائلة من الأسماك قدرت قيمتها بـ200مليون دولار أمريكي سنوياً . وانعدمت القدرة الشرائية لدي المجتمع عقب فقدان المواطنين وظائفهم بسبب إهيار المؤسسات وتدهور الأوضاع الأمنية في البلاد . وأسفر ذلك عن نهب مخازن الحبوب ورحيل المزارعين المحليين من المناطق الزراعية الجنوبية التي كانت تقليدياً مناطق إنتاج الحبوب في الصومال وكان هذا هو السبب المباشر والأهم للمجاعة التي اجتاحت جنوب الصومال، في 1992-1993م⁽⁴⁾ ، وهي أسوأ مجاعة عرفتها البشرية في التاريخ الحديث حيث عثرت في الصومال على مناطق كاملة مات أهلها من الجوع. وفي مناطق أخرى اقتات الناس كل ما من شأنه أن يسد رمقهم مثل الحشائش والملابس البالية ، والحيوانات النافقة ، وجلود الحيوانات ، والأوراق ، والأكياس البلاستيكية ، وقشور الفواكه. وقد عرف عام 1992م بعام الإنتفاخ لكثرة إنتفاخ أجساد الناس نتيجة لسوء التغذية . وبسبب هذا الإهيار الإقتصادي وما أعقبه من مجاعة شديدة أجبرت المواطنين على الإتجاه نحو المطابخ التي أقامتها هيئتنا الإغاثة الإسلامية والصليب الأحمر الدولي لتناول وجبة واحدة في اليوم. والمساعدات الدولية التي وصلت إلى الصومال كانت تكفي لوقف تلك المجاعة إلا أن الصراع الدموي الذي كان يدور بين الجبهات المسلحة حرم المواطنين من الإستفادة من تلك المساعدات حيث كانت تتعرض السفن المحملة بالمواد الغذائية- عند رسوها في الميناء- لفصف مدفعي وحالت التمكن من إفراغ الشحنات الإغاثية من السفن فغالباً ما كانت بأيدي مليشيات مما جعل المساعدات الدولية جزءاً من المشكلة.⁽¹⁾

الأثار الاجتماعية: غيرت الحروب والنزاعات الدامية في الساحة الصومالية وجه المجتمع الصومالي الموحد الذي كان يتقاسم الأفراح والأفراح فتحول إلى كيانات عشائرية تتناحر فيما بينها دون مراعات الروابط الدينية والنسب والجيران ولم يكن الصراع والنزاع على المستوي القبلي والعشائري فحسب وإنما إنتقل إلى البيطون والأفخاذ حتى وصل إلى أبناء العمومة. وتشتتت الأسرة الصومالية وانقطع أو صالها بحيث لم تعد أسرة متماسكة واحدة تعيش في مكان واحد، وانهارت العلاقات الإجتماعية بين المجتمع حيث زالت الألفة والترابط القوي الذي كان يسود فيما بينهم وحل محله القطيعة والتنافر وعدم الثقة كما تحولت العلاقات الأخوية والتعامل المتبادل بين المجتمع إلى عداوات سافرة وحساسيات دائمة ، وأفرز النزاع الصومالي أخلاقيات غريبة في المجتمع كتخاذ السلاح وسيلة للإرتزاق، وقتل الأطفال والنساء والشيوخ وذوي المكانية الإجتماعية في المجتمع مثل العلماء

(1) محمد نور جعل - القبليّة واثرها على النزاع في الصومال - دبلوم عالي 1999م . ص/ 86 .

(2) محمد معلم عبدالرحمن نظيف - الدبلوماسية ودورها في إنهاء الصراع في الصومال - دبلوم عالي 2002م .

(3) قراءات أفريقية - المصدر السابق ص82.

(4) طارق يحيى إبراهيم محمد بشارة - عمليات الأمم المتحدة لحفظ السلام في إفريقيا في التسعينات - حالة الصومال وروندا - رسالة دكتوراه غير منشورة - مركز البحوث والدراسات الإفريقية 2002م ص/ 131 .

(1) محمد أحمد شيخ علي - مصدر سابق ، ص/ 51

والسلاطين والشعراء والأطباء والمثقفين... إلخ. وعملية الأختطاف إلي غير ذلك من العادات الدخيلة. ومن الأمور التي ساعدت علي انتشار تلك الأخلاقيات السيئة وسط المجتمع نزوح الشباب من الريف إلي المدن وانخراطهم في صفوف الجبهات المسلحة، وتوقف حركة التعليم في البلاد وحمل شباب المدارس السلاح ملاً للفرغ ، إضافة إلي أن زعماء الحرب لم يكونو يرغبون في اصلاح سلوك مليشياتهم بل يرون أن هذه الأخلاقيات ضرباً من ضرور البطولة وبها تتمكن من الإنتصار في المعركة.⁽²⁾

ومن نماذج الأضرار الإجتماعية التي خلفتها الحروب الأهلية في الصومال التفكك الأسري نظراً للأعداد الهائلة من الرجال الذين راحوا ضحية للحروب الأهلية وفارقوا أسرهم دون عائل . اضطرت الأمهات والأطفال للنزول إلي الشوارع بحثاً عن مصادر للكسب والمعيشة وتبلغ نسبة النساء العائلات لأسرهن 85% حيث لم تعد المرأة الصومالية عائلة لأسر اليتمامي فحسب بل وحتى الأسر التي يوجد فيها الأباء تعيش ما تتحصل عليه المرأة بعرق جبينها وذلك إما لعدم وظائف متوفرة أو أعمال مناسبة للرجال أو أنهم يشاركون في المعارك القبلية والمناقشات السياسية في المقاهي، ولهذا تتحمل المرأة الصومالية أعباء البحث عن المعيشة بالإضافة إلي أعبائها المنزلية، وقد تسببت هذه الظاهرة في إنهيار عدد كبير من البيوت الصومالية، لإختلاف الأمهات والأباء في إدارة البيت ودخل الأسرة المحدود كما فقدت أعداد كبيرة من النساء عقولهن بعد أن تعرضن لأمراض عقلية ونفسية من جراء الضغوط التي فرضها عليهن الواقع الصومالي المرير.

أما الأطفال وبعد أن أصبح واقع الأسرة الصومالية كما سبق ذكره فإما أن يقعو فريسة في شبك المليشيات المسلحة التي تستخدمهم للأعمال الإرهابية والقمعية أو يقفوا أمام دور السينما ليستمعوا عن من يخرج منها تفاصيل قصة الفلم بكاملها ليحدثوا بدورهم أصدقائهم الذين لم يسعهم الحظ في الحضور أمام السينما أو تضطروهم الفاقة إلي تحمل أعباء النظافة في المقاهي أو العربات أو الأحذية أو حمل الأثقال... إلخ. ليجدوا من خلال هذه الأعمال ما يسدون به رمقهم في يومهم وليلتهم. وكل هذه العوامل بالإضافة إلي التدخلات الخارجية التي تأخذ أشكالاً مختلفة كالمنظمات التي تتستر بثوب الإنسانية وتقوم بنشر الفسق والفجور وإفساد أخلاق جيل الناشئ وتعميق الخلافات السياسية بين الفصائل الصومالية، والمنظمات الكنسية التي تقوم بالتبشير المسيحي عبر مؤسساتها الصحية والتعليمية ومساعداتها للمتضررين بالحروب الأهلية والكوارث الطبيعية أدت إلي فراغ تربوي وخواء روحي أصاب الأطفال لعدم وجود راع ومرب يهتم باحتياجاتهم العقلية والنفسية والسلوكية.⁽¹⁾

الجهل والامية ينتشران في ربوع الصومال نتيجة لإنعدام المدارس والمؤسسات التعليمية أو قلتها أو تدني مستوياتها مع تعدد مناهجها القليلة الموجودة وغياب الأدوات والوسائل التعليمية وعدم وجود المعلم الكفاء في المناطق التي توجد فيها مدارس والتي لاتزيد علي عدد أصابع اليد ، ومما يعقد المشكلة غياب الأمن والسلام في الساحة الصومالية. والمناهج التي تدرس في هذه المدارس تختلف من مدرسة إلي أخرى وتضم هذه المدارس أقل من خمسين ألف طالب وطالبة من بين اثنين مليون طفل وصلوا سن التعليم في الصومال. وهذه الأعداد الهائلة التي لاتجد فرصة في التعليم يذهب معظمهم إلي صفوف المليشيات العشائرية والمليشيات المستقلة التي تمارس القتل والنهب في حق المواطنين الأبرياء ما يؤدي إلي استمرار الصراع المسلح بين مختلف الفصائل المتنازعة أو أعمال النهب وقطع الطريق من قبل هذه المليشيات.

أما الفقر والمجاعة فتشهد البلاد فقراً مدقعاً نتيجة للحروب الطاحنة والكوارث الطبيعية ما يبين جفاف وتصحر ومجاعة أكلت الأخضر واليابس وحصدت حياة الآلاف من أبناء الوطن ، وبين أمطار غزيرة أدت إلي فيضانات أغرقت الحرث ودمرت المساكن والمأوي . وقد ترك الفقر في وجه المجتمع الصومالي بصمات واضحة تظهر بجلاء لكل من عاش أوزار الصومال، وقد ساق أعداداً هائلة من أبناء الوطن مثوهم الأخير بعد أن فقدوا ما يسدون به رمقهم كما أودع أعداد أكثر من ذلك في المستشفيات أو الطرق وهم يعانون من أمراض سوء التغذية كما أجبر أعداد أخرى من المواطنين في الأرياف والبيوادي علي النزوح إلي المدن التي لا يجدون فيها مصادر لكسب معيشتهم إلا بوسائل غير شريفة وتتعارض مع العقل والشرع كالقتل والنهب وتجارة والمخدرات... إلخ. وغالية هؤلاء النازحين يقعون فريسة في شبك زعماء الحرب الذين يستخدمونهم وقوداً للحرب الأهلية التي تدور رحاها في كثير من المناطق الصومالية. أدي ذلك إلي انخفاض عدد السكان في الصومال نسبة للحروب الأهلية المستمرة والأمراض الوبائية التي تحصد بصفة مستمرة آلاف من المواطنين. إذ لم يغادر سياد بري السلطة إلا بعد أن أشعل فتيل حرب دامية دامت قرابة عقد ونصف من الزمان وكلفت الصومال والصوماليين الكثير. وفي 18 و25 يناير علي التوالي من عام 1990 نشرت منظمة العفو الدولية Amnesty international ومنظمة أميركان ووتش American watch تقارير عن ذبح النظام من 50.000 إلي 60.000 من المدنيين منذ بداية الحرب الأهلية في مايو 1988م.⁽⁴⁾ وعندما هرب سياد بري من مقديشوا في يناير 1991 وفي تلك السنة لجأ ما يقارب مليون شخص إلي البلدان المجاورة وبلدان أخرى، منهم ما يقارب الثلاثمائة ألف في كينيا وكانت

(2) محمد نور جعل - جذور النزاعات السياسية وآلية فضها في الصومال - رسالي ماجستير غير منشورة 2001م - معهد دراسات الكوارث واللاجئين / ص/ 238 .

(1) محمد نور جعل - القبلية وأثرها على النزاع في الصومال - دبلوم عالي 1999م ، ص/ 90 - 91 .

(4) قراءات افريقية - ص/ 80-81.

الخسائر كبيرة فقد قتل ما لا يقل عن نصف مليون شخص بسبب الرصاصات الطائشة التي لاترحم. وأن نصف مليون آخر قد ماتوا بسبب الأمساء التي ترتبت علي الحرب وأن ربع مليون طفل دون السن الخامسة قد هلكوا، كما أن 80% من الباقين أصبحوا معرضين للخطر بسبب سوء التغذية . كما أن أربعة ملايين وخمسمائة ألف شخص كانوا يطالبون الرحمة من أيد أجنبية.⁽¹⁾

في نهاية 1991م قدر عدد ضحايا الحرب بحوالي 20.000 ونحو 600.000 لاجئ إلى الخارج وبضع مئات من الألوف نزحوا من مناطقهم إلى أماكن أخرى في الداخل بحثًا عن الأمان . وفي نوفمبر 1991م أفاد الصليب الأحمر في تقرير له بأن الوضع في الصومال يشكل كارثة إنسانية وألوف الجرحى والقتلى يسقطون يوميًا . ومن نوفمبر 1991م إلى فبراير 1992م اندلعت المعارك الشرسة بين علي مهدي وعبيد في مقديشو حيث نسف وسط المدينة والبنية التحتية والمرافق ونتج عن القصف العشوائي المركز والمستمر ليلا ونهارا لمدة ثلاثة أشهر كارثة بالنسبة للسكان المدنيين وكتب مراسل الواشنطن بوست الأمريكية أن المدافع التي تتساقط كالطرر على الأحياء المكتظة بالسكان تحصد نحو 1000 ضحية أسبوعيا في مقديشو . وأصبح مليون طفل وأربع ملايين ونصف من الكبار مهددين بالموت من الجفاف والمجاعة ونفقت نحو 40% من المواشي ، كما أصبح المزارعون لا يستطيعون العمل في مزارعهم . وفي منتصف 1992م بلغ عدد اللاجئين المسجلين في كينيا وحدها 300 ألف ، وفي إثيوبيا 357 ألف ، وفي جيبوتي 20 ألف وفي اليمن 10 ألف ونزح نحو 300 ألف آخرين من مناطقهم في الداخل . وبمعدل 1000 شخص يعبرون الحدود الكينية يوميا هروبا من الحرب .⁽²⁾ كما أن نصف مليون تقريبا هربوا إلى البلدان التي لا تتاخم الصومال وذلك ما بين أمريكا، وهولندا، وإنجلترا والسويد ، والدنمارك ، وألمانيا ، وأستراليا وغيرها من العالم الأوروبي والآسيوي.⁽³⁾ وغالبية هؤلاء المهاجرين ليس لديهم نية العودة إلى الوطن بل يحاولون في كل مرة أن يخرجوا ذويهم وأقربهم من الوطن ليعيشوا معهم في المهجر . وهذا الإنخفاض الحاد في عدد سكان الصومال يؤدي إلى أن تصبح الصومال منطقة خالية من السكان أو يتضاءل سكانها بحيث لا يستطيع الباقون فيها الدفاع عنها مما يغري أصحاب النوايا الإستعمارية كإثيوبيا وأمريكا باحتلالها .

18. المخدرات والقات

1- إنتشرت المخدرات زراعة واستعمالا- خلال السنوات العشر الماضية في أنحاء الصومال التي تزرع فيها بكثافة للإستهلاك المحلي، وللتصدير إلى الخارج ولا يقتصر إستعمالها علي فئة معينة من المجتمع- وخاصة في المناطق الزراعية، بل يتناولها الرجال والنساء والأطفال.⁽²⁾ وبجانب المخدرات فهناك شجرة القات التي يستخدمها الصوماليون كوسيلة من وسائل التسلية، وفي الأونة الأخيرة إنتشر إستعمالها بصورة كبيرة إذ لا يقل عدد المستهلكين لها عن 70% من سكان المدن وهذه الشجرة علي الرغم من أضرارها الصحية والإجتماعية تأخذ نسبة كبيرة من الدخل القومي وتضيع الوقت حيث تخصص لتناولها جلسات يومية تستغرق ما بين 6-8 ساعات بالإضافة إلي ذلك فإنها منشأ للنزاع والصراع إذ يكثر في الأماكن التي يباع فيها القتل والنهب كما أنها تحتاج إلي حراسة مشددة من قطاع الطرق الذين يتربصون لها بصورة منظمة ولا يمر يوم إلا ويقتل بسببها ثلاثة أشخاص كحد أدني. وقد خلفت المخدرات والقات أزمة صحية وأخلاقية في المجتمع إذ إن كثيرا من مدمني تلك المواد(المخدرات والقات) فقدوا عقولهم وأصبحوا مجانين أو أشباه مجانين، ولسوء حظهم لا يجدون من يعتني بهم ويحتضنهم لإنعدام المؤسسات الصحية والإجتماعية المختصة لمثل هؤلاء المرضى كما أنهم لا يجدون مساعدات ذويهم وأهلهم إما لأنهم راحو ضحية للحروب الأهلية أو أنهم فقراء لا يستطيعون إعالتهم. أدي هذا لانتشار ثقافة الجنس والاباحة في المجتمع الصومالي من خلال العروض السينمائية التي تقدمها دور السينما التي زادت زيادة مطردة في الأونة الأخيرة في أنحاء كبيرة في الصومال خاصة في العاصمة، حيث يوجد في العاصمة وحدها أكثر من 200مركز للعروض السينمائية، ولاتخضع هذه الأفلام لأي نوع من الرقابة لغياب المؤسسات المختصة بهذا الأمر كما أنه ليس هنالك اتحادات أو روابط معينة تختار الأفلام النافعة والمفيدة وإنما هناك تجار يستجلبون هذه الأفلام ويختارونها حسب إثارته وجذبها للشباب من نواحي الجنس والعنف والغرام ليحققوا من خلال هذا رباحاً خيالية، والجديد في الأمر أن هذه الأفلام تترجم إلى اللغة الصومالية فور وصولها إلي البلاد ليستوعب المشاهدون رسالة الفيلم بكامله وهناك شباب من الجنسين يحترفون مهنة الترجمة، ويستمر العرض طيلة أربعة وعشرين ساعة في قاعات مليئة بالشباب من الجنسين وقد أسهت هذه الأفلام تماماً في تحطيم الثقافة والتقاليد والقيم الصومالية وخلقت طبقة من الشباب الذين تغير سلوكهم جذرياً متطابقاً مع مايشاهدون من الأفلام، وذلك لأن الشباب وعقب خروجهم من السنما يجدون بيئة مهياة لتطبيق مايشاهدونه من أفلام سواء في مجال العنف أو الجنس والغرام وذلك لما تشهده الساحة الصومالية من فوضى أثرت في كل وجه من أوجه الحياة.⁽¹⁾

(1) محمد يوسف مرسي - القبليّة واثرا في السياسة الصومالية - ص/167-168 .

(2) قراءات افريقية - مرجع سابق - ص/ 80 - 82 .

(3) محمد يوسف مرسي - مرجع سابق ص/ 167 - 168 .

(2) محمد نور جعل - القبليّة واثرا على النزاع في الصومال - مصدر سابق - ص/ 93 .

(1) محمد نور جعل - جذور النزاعات - مصدر سابق ، ص/ 242 .

19. عدم الأمن والإستقرار

عندما إنتشر السلاح بأيدي الناس عموماً وكثرت العصابات المسلحة ذات الأهداف المختلفة وانعدم الأمن والإستقرار في الصومال وانهدمت مؤسسات الأمن وعطلت جميع القوانين والنظم الإدارية وأصبحت الفوضى هي السائدة، وأفلت الأمن عن السيطرة أخذ القوي يأكل الضعيف وأصبحت المحرمات مباحة فارتفعت معدلات الجريمة من نهب وقتل وإغتصاب⁽²⁾ وأصبح الأشخاص فوق القانون لا رابط لها ولاضابط ولا نظام، وأصبح كل شئ في مهب الريح، وكان الدينا قامت فجأة فينظر كل واحد من الناس حوله فلا يجد ولايري إلا الشماشة المسلحة تريد ان تنال من نفسه وماله وعرضه، وكأنه يعيش في غابة الحيوانات المفترسة، وليس أمامه خيار سوي أن يهرب إلى أي إتجاه لايدري مداه لإنقاذ نفسه وأولاده وأعراضه تاركاً وراءه كل ممتلكاته وعصب حياته ومنجزاته. وأصبح الناس كالفرش المبتوث هذا يتجه نحو الشمال، وذاك يتجه نحو الجنوب هؤلاء يهرولون صوب الشرق، وأولئك صوب الغرب وكلهم أقرباء بل ينتمون إلى أسرة واحدة، وعندما يصل أحدهم إلى مكان يعتقد أنه آمن وتهدأ نفسه يسأل عن أبيه أو إبنته أو زوجته.. إلخ، فلا يجد أحداً يجب عليه أن المسؤول لا يعلم من السائل وتري الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن الهم والفرح شديد. وشردت الحرب الأهلية التي سبقت وأعقبته سقوط حكومة سياد بري مايقدر بنحو 7.7 مليون نسمة أي زهاء خمس سكان البلد، وفرما يزيد كثيراً علي 700.000 شخص إلى كينيا، وإثيوبيا، وجيبوتي، واليمن، وتدفق إلي مقديشوا أكثر من 25.000 مشرد من الأرياف والقري، وتدفقت أعداد كبيرة لئياً إلى مدن أخرى في الجنوب من ضمنها كسمايو وبيدوا طلباً للأمن والطمأنينة⁽¹⁾ والنزوح أحد إفرزات الحروب الأهلية في الصومال نتيجة لعدم الأمن والإستقرار وسبب ذلك أن أعداد هائلة من القبائل المستقرة في الأقاليم نرحوا إلى أقاليم أخرى عندما انفجرت الحروب بين القبائل خاصة العشائر الأقلية التي يضيق لها العيش مع القبائل الكبرى التي لاتبالي نهب أموالهم وقتل رجالهم وانتهاك أعراضهم مما أدى إلي نزوحهم إلي أقاليم لايعرفون أهلها وتقاليدها غير أنهم ينتمون إلي نسب واحد، وهذه المناطق لاتتسع لإيواء هذا العدد ولاتكفي لخدمات الرعي والمياه وهذه الظاهرة سببت تفكك ونزوح بعض القبائل وانضمام بعض القبائل المشتتة في أرجاء الوطن بعضها البعض، حيث نزحت أعداد هائلة من القبائل خاصة الشيوخ والنساء والأطفال إلي المدن الكبرى والعاصمة حيث انعدم المأوي الصحي والخدمات الصحية، فأصبح الأطفال يعانون من سوء التغذية مما زاد من نسبة الوفيات بين الأطفال بل أن سلوك هؤلاء النازحين يشكل ضغطاً وعيناً كبيراً علي تلك المدن في الخدمات الضرورية الشحيحة، وأن عادات وتقاليدهم هؤلاء النازحين تختلف كلياً من تقاليد أهل المدن والأهم من ذلك فإن فرص العمل لهؤلاء ضئيلة جداً لأنهم لايجيدون سوي حرفة الرعي والزراعة مما اضطرهم للمزولة في الأعمال الهامشية بل وأن أعلى نسبة من النساء اللاتي يبعن الشاي في طرقان المدن الكبرى والعاصمة من النازحين من ويلات الحروب⁽²⁾.

20. الآثار النفسية

الحوازر النفسية والإضطرابات الداخلية والإضطرابات الشخصية وعدم الثقة بالذات وبالأخرين، والقلق الدائم وعدم توازن العقل، وعدم إنسجام الروح بالجسد كل هذا من إفرزات الصراع السياسي في الصومال عندما حرم الشعب الصومالي من لذة الأمن والإستقرار وحرية التنقل من مكان إلي مكان والتعبير عن الرأي بالحرية. وعندما تجزأ الصومال إلي جزيئات لأحد يتجرأ للدخول إلي الجزء الآخر وتعرضت العاصمة وحدها إلي تقسيماتجائرة يصعب التنقل فيها من حي إلي حي ناهيك عن الأقاليم حيث يعتقد كل واحد بأنه يتعرض للموت إذا خرج من إطار قبيلته وكأنه رهن حبسها مما يؤدي إلي الكبت والشعور بالذنب والضيق النفسي، ومن أكبر التراكمات النفسية والتي تزيد دائماً بحدة النزاع أو طولته هي الكراهية، والحقد، والإستحقار، وعدم الثقة بين القبائل والعشائر، ومهما بذل من جهد لإزالة هذه الحواجز، فإن الأثار السالبة من الصعوبة بمكان أن تزول كلية، فتجد أن الطفل قد قتل أبوه، أو أخوه، أو أعمامه، والأم ترضعه لبن الحقد علي القبيلة المعينة وينموا بهذا الحقد وتزداد كراهيته يوماً بعد يوم حتي تتراكم في نفسه وتؤدي إلي إنفجار الصراع مرة ثانية، هذه التراكمات النفسية تنمو مع الأجيال الناشئة وتسمع أحاديث وقصص تحكي بالصراعات القديمة والحديثة بين القبائل فتتأثر وتشبع بالحقد والانتقام وتنفجر يوماً ما مادام لايحترم كل واحد الآخر ويعتبر نفسه أفضل من غيره وعليه لايد من حسم الأفضلية بالسلاح. أما عدم الثقة فهي أكبر الكوارث النفسية التي لاتتدبر السلم والتعايش السلمي لإعتقاد كل قبيلة بأن القبائل الأخرى يكيدون لها ولايمكن العيش معها إلا بالصراع والقوة⁽¹⁾.

(2) قراءات افريقية - مصدر سابق - ص/82

(1) طارق يحيى ابراهيم - عمليات الأمم المتحدة لحفظ السلام في افريقيا - مصدر سابق، ص/ 130 .

(2) محمد نور جعل - القبيلة - مصدر سابق، ص/ 96 .

(1) محمد نور جعل، جدور النزاعات السياسية، مرجع سابق، 2001م، ص 247.

21. الآثار على الصعيد التعليمي والثقافي والهوية الحضارية

جاء في برنامج الأمم المتحدة (سددت الحرب الأهلية الضربة القاضية لنظام تعليمي كان مهملًا فعلا بعد أن بلغ عدد التلاميذ المسجلين دورة قدرها 272.000 تلميذا في السنة الدراسية 1980-1990م أقل من 20% من البالغين سن الدراسة فانخفض عدد المسجلين الى 110.000 في السنة الدراسية 1989-1990م وانخفض عدد المدرسين خلال التفرؤة نفسها من 8.000 مدرس الى نحو 4600 مدرس بسبب خفض الرواتب . وجاء في تقرير لجنة ندوة التعليم في الصومال إنهارت المؤسسات التعليمية مثلما إنهارت المؤسسات الأخرى ومن مشاكل التعليم تدمير 90% من مباني المدارس الحكومية من جراء النهب والقصف قد يكون التدمير كلياً أو جزئياً ونهب جميع ممتلكات املدارس والأثاث بشكل كامل . أدى ذلك لإنهيار النظام التعليمي وغياب السلطة المركزية تنظم شؤون التعليم والأعداد الكبيرة التي انقطعت عن الدراسة في بداية الحرب ويقدر عددهم بـ 320.000 في مرحلتين الإبتدائية والإعدادية و60.000 في المرحلة الثانوية و10.000 في مراحل التعليم العالي إضافة الى العدد الكبير الذي وصل الى سن التعليم في ظل الحروب الأهلية وتقدر اليونسكو أن هناك مليوني صومالي في سن التعليم في الفترة السابقة⁽¹⁾ . وقد هاجر أكثر من مليون صومال أو أكثر بقليل كما ترجح بعض المصادر الى أوروبا ، وأمريكا ، ودول أخرى بعضها عربية وأخرى أفريقية ، وتتوزع الجالية الصومالية على أكثر من 100 قطر في أنحاء العالم ، ومن المؤكد أن يكون لههذ الهجرة – كما يرى بعضهم – تأثير مباشر على هؤلاء اللاجئين والمهاجرين بالنسبة للتقاليد والعادات والثقافة واللغة - وربما الدين ، ومن ثم فهناك خلل سيحدث في مستقبل ثقافة المجتمع الصومالي ، وإذا عرفنا أن غالبية العظمى للمهاجرين هم من الأطفال والنساء بشكل عام فإننا ندرك مدى ما سيتعرض له هؤلاء الضعفاء من التذويب والإستغلال مستقبلا⁽²⁾ .

(1) يوسف احمد جدو : إدارة وتنظيم التعليم في الصومال خلال سنوات الحرب الأهلية 1990-2000م- رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة أفريقيا العالمية 2007 ص/135 .
(2) قراءات أفريقية – مصدر سابق . ص/ 83 .